بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان:

صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي

The Image of Al-Manathira and Al-Ghasasina in Pre- Islamic Poetry

إعداد الطالبة:

رهام فواز فارس النعيمات

الرقم الجامعي: ٠١٢٠٣٠١٠٠١

إشراف:

الدكتور محمد موسى العبسي

العام الجامعي

٢٠٠٥/٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة ماجستير بعنوان:

صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي

The Image of Al-Manathira and Al- Ghasasina in Pre- Islamic Poetry

إعداد الطالبة:

رهام فواز فارس النعيمات

الرقم الجامعي: ٠١٢٠٣٠١٠٠١

إشراف:

الدكتور محمد موسى العبسي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. محمد موسى العبسي	مشرفاً ورئيساً	.....
د. محمد محمود الدروبي	عضواً	.....
د. أمين يوسف عودة	عضواً	.....
أ.د. موسى ربابعة	عضواً	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة آل البيت

نوقشت وأوصي بإجازتها / تعديلها / رفضها بتاريخ .....

شكر وامتنان

بعد أن اكتملت هذه الدراسة واستوت على ساقها، لا بد لي من إزجاء الشكر إلى الذين كان لهم – بعد الله –فضل اكتمالها وظهورها بالصورة اللائقة.

تدين الباحثة بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل في قسم اللغة العربية بجامعة آل البيت الذين لم يبخلوا عليها بالنصح والإرشاد، وتخص بالذكر الأستاذ الدكتور شكري الماضي، والدكتور عبد الرحمن الهويدي.

أما المشرف على هذه الدراسة، الدكتور محمد العبسي، فإن أياديه البيضاء التي امتدت لتشمل الدراسة وصاحبتها بالرعاية والتوجيه والمتابعة فإن لها من التقدير ما يعجز لساني عن الوفاء بحقها، فله مني خالص الشكر وعظيم الامتنان، والدعاء إلى الله أن يكلأه بحفظه، وأن يبقيه منارة شامخة للعلم والخلق.

وإلى الأساتذة المحترمين، والعلماء الأجلاء أعضاء لجة المناقشة، أتقدم بشكري الجزيل لتفضلهم بقراءة هذه الرسالة ونقدها وتوجيه صاحبتها إلى مواطن الوهن والخلل، مؤكدة أن ملاحظاتهم ستلقى مني كل اهتمام وعناية.

ولا يفوتني أن أشكر أخوتي الذين وقفوا إلى جانبي وساندوني في مراحل دراستي المختلفة. كما لا يفوتني أن أشكر زملائي الذين لم يبخلوا عليّ بالنصيحة والمساعدة.

إلى هؤلاء جميعاً أزجي الشكر والمحبة

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،

يعد الشعر الجاهلي منهلاً ثرً يقصده الباحثون والدارسون لاستجلاء ما فيه من روائع الكنوز التي فطن إلى اهميتها الباحثون من أبناء هذه الأمة ومن غيرها من المهتمين بدراسة أدب هذه المنطقة (العربية) وتاريخها وإرثها الحضاري.

وقد مثل وجود كل من دولتي المناذرة والغساسنة حالة غير مألوفة من الحياة العربية آنذاك على المستوى الحضاري بما يشمله من جوانب ثقافية واجتماعية وسياسية؛ إذ كان العرب يحيون حياة قائمة على الولاء للقبيلة دون غيرها؛ فلم تكن لهم دولة تجمع شتات قبائلهم المنتازعة، وتشعرهم بوجود كيان خاص بهم يشملهم جميعاً. ورغم وجود دولتي المناذرة والغساسنة العربيتين ، إلا أن ولاءهما لقوى خارجية (الفرس والروم) جعل مسألة ولاء القبائل العربية إلى إحدى هاتين الدولتين أمراً متعذراً في أحايين كثيرة.

وإذا كان القدماء لم يعنوا بهذه الظاهرة؛ فإن المحدثين قد تناولوا بعض جوانبها في دراساتهم وأبحاثهم، غير أن تلك الدراسات نهجت منهجاً مغايراً في معالجتها لهذه الظاهرة. وأبرز هذه الدراسات دراسة أعدها فؤاد فياض شتيات، وعنوانها (الشعر في بلاط النعمان بن المنذر) تناول من خلالها الشعر في بلاط النعمان من حيث: تاريخه، مصادره، وأغراضه وخصائصه الفنية. ويتضح من عنوان الدراسة أن الباحث قد كرس دراسته للبحث في حركة الشعر في بلاط النعمان بن المنذر دون غيره من ملوك المناذرة، كما أن دراسته تناولت جوانب موضوعية وتاريخية وفنية، دون التطرق إلى صورة الملوك في الذهن العربي من خلال الشعر الذي كان يتداول في البلاط؟

أما الدراسة الثانية فقدمتها قطنة أحمد هزاع بعنوان (الشعر في بلاط الغساسنة) وهذه الدراسة – كسابقتها– تناولت الحديث عن حركة الشعر، ولكن هذه المرة في بلاط الغساسنة، وهي دراسة تاريخية وموضوعية أيضاً أيضاً لا تختلف عن الدراسة الأولى إلا من حيث أنها اختصت بالحديث عن الشعر في بلاط الغساسنة، بينما اقتصرت الأولى على الحديث عن الشعر في بلاط المناذرة. كما أن هناك بحثاً للدكتور حمدي منصور بعنوان (صورة النعمان بن المنذر في الشعر الجاهلي) تناو فيها صورة الملك في أشعار الشعراء الذين وفدوا عليه،

وتوقف عند أربعة موضوعات هي: المديح، والهجاء، والاعتذار، والرثاء. وبين صورة الملك في كل حال من تلك الأحوال الأربعة. ومن هنا فإن هذه الدراسة تختلف عن سابقاتها في أنها تتصدى للحديث عن صورة ملوك الدولتين التي تبدت من خلال أشعار الشعراء الذين ذكروهم في قصائدهم، كما تهدف إلى بيان الخصائص الموضوعية والفنية لذلك الشعر، وكشف أبـــرز السمات التي استم بها.

تقوم هذه الدراسة على ثلاثة فصول: اختص الأول منها بالحديث عن نشأة كـــل مـــن مملكتي المناذرة والغساسنة والحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وأبرز ملوك كل دولة. أما الفصل الثاني، فقد تناول صورة المناذرة والغساسنة كما قدمها الشعر مراعياً التركيز على المنحيين الاجتماعي والسياسي. وفي الفصل الثالث الذي خصص للدراسة الفنية، فقد تم فيـــه تناول أهم السمات التي ميزت الشعر الذي قيل في المناذرة والغساسنة من ناحية البناء الفنـــي والملامح الأسلوبية وموسيقى الشعر. وختمت الدراسة بخاتمة بينت أهـــم النتـــائج التـــي تـــم التوصل إليها.

وبعد،

فإنني آمل ان أكون قد وفقت فيما سعيت إليه في عملي هذا الذي أتطلع لكي أراه لبنة جديدة نافعة تضاف إلى ما سبقها.

يدفعني إلى ذلك حبي لأمتي الماجدة، ولغتها التي كرمها الله سبحانه وتعالى بالعنايـــة والحفظ راجية أن أكون قد أصبت النجاح، فإن وفقت فبتوفيق من الله، وإلا فإن تقصيري من نفسي، غير أن عزائي هو أنني اجتهدت، ولم أدخر وسعاً من أجل تحقيق هدفي.

وما توفيقي إلا بالله

الباحثة

٢٠٠٦/٥/٢

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والامتنان	ب
قائمة المحتويات	ج
الملخص باللغة العربية	هـ
المقدمة	ز
الفصل الاول:المناذرة والغساسنة في المصادر التاريخية	١
المطلب الاول: المناذرة في المصادر التاريخية	٢
أولاً: الحياة الاجتماعية	٨
ثانياً: الحياة السياسية	١٤
ثالثاً: الحياة العسكرية	١٧
رابعاً: ابرز ملوك المناذرة	٢٢
المطلب الثاني: الغساسنة في المصادر التاريخية	٢٩
أولاً: الحياة الاجتماعية	٣٣
ثانياً: الحياة السياسية	٤١
ثالثاً: الحياة العسكرية	٤٥
رابعاً: أبرز ملوك الغساسنة	٤٩
الفصل الثاني: صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي	٥٥
المطلب الاول: المنحى الاجتماعي والحضاري	٥٦
أولاً: صورة المناذرة	٥٧
ثانياً: صورة الغساسنة	٦١
المطلب الثاني: المنحى السياسي والعسكري	٦٨
أولاً: صورة المناذرة	٦٩
ثانياً: صورة الغساسنة	٨٧
الفصل الثالث: صورة المناذرة والغساسنة: دراسة فنية	١٠٣
أولاً: بنية النص الشعري	١٠٤
المقدمة	١٠٤

التخلص ١١٤
الخاتمة " خواتيم القصائد" ١١٨
اللغة ١٢٠
ثانياً: الصورة الفنية ١٢٤
ثالثاً: الملامح الأسلوبية ١٢٨
رابعاً: المحسنات البديعية ١٣٢
الأوزان والقوافي ١٣٥
الخاتمة ١٤٢
قائمة المصادر والمراجع ١٤٤
الملخص باللغة الإنجليزية ١٥١

الملخص

تتناول هذه الدراسة صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي، فقد حكم المنـــاذرة العراق لأكثر من خمسة قرون، مثلما حكم الغساسنة الشام مدة مماثلة – تقريباً– وامتد نفوذهم ليشمل معظم أجزاء الجزيرة العربية، كان لهم خلالها صلات مع القبائل العربية المحيطة بهم في شبه الجزيرة فكان لا بد من وفود بعض الشعراء على بلاط الملـــوك مـــادحين ومهنئـــين ومعتذرين، وقد اسهم تشجيع الملوك لهؤلاء الشعراء وإغراؤهم بالاعطيات والامتيازات فـــي ازدهارحركة الشعر في بلاط كل من المملكتين، وخصوصاً إذا علمنا أن حالةً من الصـــراع والتنافس كانت تسود بينهما، الأمر الذي حدا بكل بلاط لمحاولة اســـتمالة أولئـــك الشـــعراء، والاستئثار بشعرهم دون الآخر.

تتكون الدراسة من ثلاثة فصول؛ تم تخصيص الأول منها للحديث عن كل من المناذرة والغساسنة في المصادر العربية التاريخية والأدبية، وقسم الفصل إلى أربعة أجـــزاء عالجـــت النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية، كما تم التطرق إلى ذكر أبرز ملوك كـــل مملكـــة ومدة حكم كل واحد منهم، ونبذة مختصرة عن أهم الأعمال والأخبارالتي وقعـــت فـــي فتـــرة حكمه.

أما الفصل الثاني، فقد اختص بدراسة صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي، وذلك من خلال استقراء النصوص الشعرية للشعراء الذين كانوا يفدون على البلاطـــين، مـــن أجل تسليط الضوء على أبرز مناحي حياتهم من الجوانب المختلفة الحضـــارية والاجتماعيـــة والسياسية والعسكرية، وقد برزت صورة أولئك الملوك حين صورهم الشعراء في قصـــائدهم سواء المدحية منها أم الاعتذارية أم الهجائية، إذ بدا واضحاً تميزهم بالقوة والجبروت والظلـــم وذلك بسبب رغبتهم في بسط نفوذهم وسلطانهم على القبائل المحيطة بهم، كما بـــدت بشـــكل واضح صورة التبعية التي كانت تسيطر على علاقة كل من الدولتين بالدولة الأقوى التي تدين لها بالطاعة والولاء وأعني بذلك دولتي الفرس والروم، مما أدى إلى انعكاس أثر ذلك علـــى القبائل العربية في علاقتها مع كل من المناذرة والغساسنة وعلى الشعر الذي قيل فـــي تلـــك الفترة.

وفي الفصل الثالث الذي خصص للدراسة الفنية، تم التعرف إلى أبنية القصـــيدة مـــن حيث المقدمة والغرض والخاتمة، كما تم البحث في الصورة الفنية أنواعها لدى الشعراء، ثـــم تطرقت الدراسة إلى الحديث عن الملامح الأسلوبية التي يمتاز بها ذلك الشعر من حيث اللغة والمحسنات البديعية المستخدمة كالاستفهام والحذف والتقديم والتأخير وغيرها. وبعد ذلك تـــم البحث في موسيقى الشعر من حيث الأوزان والبحور والقوافي التي تتجلى في عدة مظاهر من أهمها التصريع والتدوير والتكرار وقامت الدراسة بعمل جداول خاصة تبين البحور الشـــعرية التي نظم عليها الشعراء قصائدهم والقوافي التي اهتموا بالنظم عليها.

وفي النهاية ختمت الدراسة ببعض الملاحظات التي تمخض عنها البحث، التي تبـــين الخصائص والمميزات التي اختص بها شعر تلك الفترة دون غيره.

الفصل الأول

المناذرة والغساسنة في المصادر التاريخية

المطلب الأول: المناذرة في المصادر التاريخية

أولاً: الحياة الاجتماعية

ثانياً: الحياة السياسية

ثالثاً: الحياة العسكرية

رابعاً: أبرز ملوك المناذرة

المطلب الثاني: الغساسنة في المصادر التاريخية

أولاً: الحياة الاجتماعية

ثانياً: الحياة السياسية

ثالثاً: الحياة العسكرية

رابعاً: أبرز ملوك الغساسنة

المطلب الأول: المناذرة في المصادر التاريخية

تمـــهـــيد

يبدو للمتتبع لتاريخ المناذرة والغساسنة أن المعلومات التي وصـــلت إلينـــا عـــن المناذرة أوفر من تلك التي وصلت إلينا عن معاصريهم الغساسنة، وهي لوفرتها استطاعت أن ترسم لهم صورة أكثر وضوحاً وتفصيلاً، وربما يعود ذلك إلى المدونات التي وجـــدت في معابد الحيرة وأديرتها، والتي يذكر بعض المؤرخون أنهم استخرجوا تاريخهم منهـــا [١]، كما يمكن أن يكون هذا الوضوح عائداً أيضاً إلى أن ملوك الفرس دونـــوا تـــاريخهم، فأخذه المؤرخون العرب. ويظهر ذلك جلياً من اقتران تاريخ ملوك المناذرة بتاريخ ملوك الفرس [٢].

ويعيد هؤلاء المؤرخون نسب المناذرة إلى لخم اليمنية التي هاجر أبناؤهـــا إلـــى الشمال مثلما هاجر الغساسنة إثر انهيار سد مأرب، وليس لدينا ما نستدل به على يمنيـــة المناذرة سوى أقوال النسابين [٣].

مهما يكن من أمر نسبهم فقد نزلوا في وادي الفرات لجهة الغرب، وسكنوا الخيام، وعاشوا البداوة ثم تحولوا إلى قرية في الجنوب الشرقي من النجف وعلى بعد ثلاثة أميال

---

(١) يقول ابن هشام بن محمد الكلبي:" إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصـــر بـــن ربيعـــة، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وأمـــورهم كلهـــا". الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـــ)، **تاريخ الأمم والملوك**، الطبعة الأولـــى، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، ص ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٢) انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تلاحظ أن تاريخ الحيرة ادمـــج مع تاريخ الفرس، فيذكرون عند كلامهم على ملك من ملوك الساسانيين صلات ذلك الملك بملوك الحيرة.

(٣) انظر: ابن قتيبة، عبدالله مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـــ)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشـــة، الطبعـــة الثانية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص ٦٤٥. الطبري، **تاريخ الأمم والملـــوك**، ج١، ص ٣٦٠ ومـــا بعدها.

من الكوفة وهي "الحيرة" [١]، فاتخذوها قاعدة لهم، وسرعان ما تحولت هذه القرية إلى مدينة عامرة بالقصور والحدائق والأنهار، إضافة إلى سهول الحبوب وأحراج النخيل[٢].

وقد اصطنع الفرس المناذرة في العراق، لحماية حدودهم من غارات القبائل العربية، ولقتال الرّوم وحلفائهم العرب في الشام، وهكذا فإنّ ملوك المناذرة كانوا عمالاً للفرس يولون ويعزلون من قبل الملك الفارسي تخولهم خوض المعارك ضد من تمرد عليهم من القبائل المحيطة.

ويعد مالك بن فهم الأزدي [٣]، أول من تزعم العرب في العراق قبل وصول اللخميين إلى الحكم، ثم تلاه في الحكم أخوه عمرو بن فهم الذي نسجت حوله الأساطير، ومنها أنه أراد الزواج من الزباء (زنوبيا ملكة تدمر) بعد ما قتل أباها عمراً فاحتالت في الانتقام منه وقتلته بعدما أوهمته بأنها قد وافقت على زواجه منها [٤]، وتمضي الأسطورة فتذكر أن خلفه، وهو ابن اخته عمرو بن عدي احتال في الانتقام منها وقتلها بعدما سد أمامها باب الفرار عبر نفق كانت أعدته للهرب في الحالات الطارئة [٥].

---

[١] هو تحريف للكلمة السريانية حرتا ومعناها المخيم أو الحصن. انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة الثانية، جامعة بغداد، ١٩٩٣م، ج٣، ص ١٥٥.

[٢] ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث، بيروت، د.ط، د.ت، مادة الحيرة، ج٣، ص ص ٢٠١-٢٠٢. علي المصري، **تاريخ ملوك العرب الشعراء**، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ٢٠٠١م، ص ٣٤.

[٣] أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، م١، ص ٣٦٠، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٩٧. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مصدر سابق، ص ١٦٨.

[٤] انظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٦٥. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ٩٧. الميداني، أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص ٢٨٩ المثل رقم ١٢٥٠.

[٥] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٦. المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ١٠٦. الميداني، **مجمع الأمثال**، ج٢، ص ٢٨٩، المثل نفسه.

وأول ملك لخمي هو عمرو بن عدي، ونسبه في بني نصر بن ربيعة بـــن لخـــم، لذلك يسمى المؤرخون أسرته التي توالت على الحكم من بعده باللخميين، أو النصريين، أو المناذرة على السواء، وهو أول من استوطن الحيرة فصارت قاعدة لملكه وملك أبنائه من بعده [١].

ويقال أن الملك الفارسي، سابور الأول، هو الذي عين عمراً عاملاً مـــن قبلـــه، ولكن ابنه أمرأ القيس بن عمرو الذي خلفه كان على ما يبدو يدين بالولاء للفرس والرّوم معاً، ولم يسيطر الفرس سيطرة تامة على الملك في الحيرة إلا في عهود خلفـــاء أمـــرئ القيس بن عمرو. وقد بلغ عدد ملوك المناذرة عشرين ملكاً، حكموا مـــا يقـــارب ثلاثـــة قرون، وكانوا جميعاً من نسل عمرو بن عدي، إلا ستة منهم كانوا دخلاء، وهم: أوس بن قلام، والحارث بن عمرو بن حجر الكندي، وعلقمة بن يعفـــرة، وإيـــاس بـــن قبيصـــة، وفيشهرت، وزاديه الفارسيان [٢].

ومن أشهر ملوك الحيرة النعمان الأول، الملقب بالأعور أو السائح، والـــذي ورد ذكره في أشعار الشعراء الجاهليين ومدائحهم، لما عرف عنه الحزم والضبط، إضافة إلى كثرة الجند ووفرة الأموال. وكان جيشه مؤلفاً من كتيبتين، تعـــرف الأولـــى بالشـــهباء ورجالها من الفرس الأشداء، وتعرف الثانية بالدواسر وأفرادها تنوخ وكثيراً ما لجأ إلـــى استعمال جيشه هذا فغزا الغساسنة في الشام، وأخضع كل من لم يدن له من العرب [٣].

وتذكر المصادر أن الملك الفارسي يزدجرد الأول أرسل ابنه بهرام إلى الحيـــرة لينشأ بين أحضان العرب فيأخذ عنهم شجاعتهم وفروسيتهم وفنون صيدهم. ولما تـــوفي

---

[١] أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١، ص ٣٦٩. المسعودي، **مروج الذهب**، مصـــدر ســـابق، ج٢، ٩٨. الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت٣٨٠هـــ)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، دار مكتبـــة الحياة، د.ت، ص ٧٦.

[٢] أنظر: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، م١، ص ٣٧٠.

[٣] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن (ت ٣٥٦هـــ)، **الأغاني**، شرح: عبد أ. علي مهنـــا، الطبعـــة الثانية، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٢، ص ١٣٨. الأصفهاني، **تاريخ سني ملـــوك الأرض والأنبيـــاء**، مصدر سابق، ص ٧٩.

يزدجرد، وحاول الفرس إقصاء بهرام عن العرش الفارسي، انتصر النعمان هذا له، ومكنه من العرش بجيشه القوي، فحفظ بهرام هذا الصنيع للنعمان ولأبناء الحيرة، وارتفعت مكانة الملك العربي، وازدادت هيبته في نظر أعدائه [١].

وإلى النعمان ينسب قصرا الخورنق والسدير، واللذان يعدان من معجزات الفن المعماري في ذلك العصر [٢]، وقد قام ببنائه كما يذكر المؤرخون، مهندس رومي يدعى سِنمَّار، وتروي الأساطير أن النعمان قتله بعد أن انتهى من القصر حتى لا يبني لغيره من الملوك ما يشبهه [٣].

وفي عهد المنذر الثالث ابن أمرئ القيس، بلغت الحيرة ذروة المجد، ويعرف بالمنذر بن ماء السماء، وماء السماء لقب لأمه مارية، والتي سميت بذلك لحسنها وجمالها [٤].

وفي عهده اعتنق الملك الفارسي قباذ المذهب المزدكي الداعي إلى اشتراك الناس في الأموال والنساء، وحاول إجبار رجال دولته على اعتناقه، ولما أبى المنذر ذلك، تغير عليه قباذ واضطره إلى الفرار من الحيرة، وولى عليها الحارث بن عمرو بن حجر ملك كندة، ومنافس المنذر في السيادة على عرب الشمال، ثم توفي قباذ وتولى ابنه أنو شروان الملك، فحارب المزدكية، وقضى على أتباعها. وأعاد المنذر إلى عرش الحيرة[٥].

---

[١] تذكر بعض المصادر أن من أعاد بهرام إلى العرش هو المنذر بن النعمان، أنظر:فيليب حتي، **تاريخ العرب**، بقلم فيليب حتي وزميليه، الطبعة الثامنة، دار غندور،١٩٩٠ ج١، ص ١٠١.

[٢] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٧. حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٩.

[٣] الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٠، المثل رقم ٨٢٨.

[٤] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٥.

[٥] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق،ج ١، ص ٤٢٠ وما بعدها.

ولم ينسَ المنذر للحارث الكندي فعلته، فطارده وقضى عليه وعلى أولاده مستغلاً فرصة استيلاء الأحباش على اليمن، وقضائهم على الحميريين أحلاف الملك الكندي، وبعمله هذا دانت قبائل نجد للحيرة بالولاء[١].

ونجد المنذر بعد ذلك يقود سلسلة من الحملات المظفرة على الغساسنة والرّوم، فيوغل في الشام حتى بلغ حدود أنطاكيا، فأحرق العديد من المواضع، وقتل عدداً كبيراً من السكان[٢].

وحول المنذرهذا نسج العرب كثيراً من الأقاصيص، ومنها ما ذكروه حول يومي نعيمه وبؤسه، فقد كان للمنذر حسبما يذكر القصاصون نديمان من بني أسد، أمر بدفنهما حيين في ليلة من ليالي سكره، فلما صحا وعلم بما فعل، ندم وأمر ببناء صومعتين فوقهما، وجعل لهما في السنة يوم نعيم ويوم بؤس، وينعم على من يأتيه في اليوم الأول ويذبح من يأتيه في اليوم الثاني ويطلي بدمه الصومعتين، وعرفت الحيرة في عهده ترفاً وبذخاً شديدين، وصارت قبلة الشعراء[٣].

وفي عهد النعمان بن المنذر المكنى بأبي قابوس، بدأ يفد إلى الحيرة كثيرٌ من الشعراء، من أمثال أوس بن حجر، والمنخل اليشكري، ولبيد بن ربيعة، والمثقب العبدي، وحجر بن خالة، والنابغة الذبياني واليه نظم اعتذارياته المشهورة حينما غضب عليه الملك، بعد امتداحه لخصومه الغساسنة[٤].

ويذكر أن النعمان نشأ في كنف عائلة نصرانية، كان عدي بن زيد ترجمان كسرى الثاني وكاتبه أحد أفرادها، فلما توفي المنذر بن المنذر، والد النعمان، أشار عدي على

---

[١] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق،ج ١، ص ٤٢٠ وما بعدها..

[٢] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص٢٢٠ وما بعدها.

[٣] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة غريان، ج٦، ص ص ٣٨٤-٣٨٥.

[٤] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد الحسن، **شرح ديوان حماسة أبي تمام**، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٥٧٦، ٦٦١، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٣.

كسرى بتولية صديقه الأمير النعمان من دون اخوته الإثني عشر، فأجابه كسرى إلى ذلك[١]، ولكن النعمان لم يكن من الذين يعرفون الوفاء، ذلك أنه استدرج عدي بن زيد إلى الحيرة، وسجنه، ثم أمر بقتله[٢]، وكان لعدي ابن كاد للنعمان عند كسرى، وأثار غضب كسرى عليه، فاستدعاه كسرى إلى المدائن وألقاه في السجن، وقيل إنه رمى به تحت أرجل الفيلة[٣].

ولم تقم بعد النعمان للمناذرة قائمة، فقد ولى الفرس بعده ثلاثة حكام [٤] خضع لهم زعماء العرب.

---

[١] أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢، ص ٩٨. ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ج١، ص ٢٨٢..

[٢] المرجع السابق، ج٣، ص ٢٦٦.

[٣] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٠٧-١٠٨، الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٦.

[٤] وهم إياس بن قبيصة، وزاديه، والمنذر بن النعمان بن المنذر المسمى المنذر المغرور، انظر: حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ص٨٦-٨٧.

أولاً: الحياة الاجتماعية

تعتبر بادية العراق منطقة مفتوحة لهجرات العرب المقيمين بأطراف شبه الجزيرة العربية أو الوافدين من المناطق العربية الجنوبية، وكانت هذه الهجرات تزداد في الأوقات التي تضعف فيها الحكومات في العراق، وعليه أصبحت منطقة الفرات الجنوبي هدفاً لهجرة عربية في عصر الطوائف، وتنسب هذه الهجرات إلى قبائل تنوخ، وهي من القبائل العربية التي رحلت من اليمن أثر تصدع سد مأرب وقبل أو بعد سيل العرب(١).

"وتنوخ اسم قبيلة عربية يمنية ورد ذكرها في جغرافية بطليموس تحت اسم Tanueitae(٢)، وكانت منازلها في جنوب جبال Zametes وهي السلسلة الجبلية الممتدة حسب رأي جلاسر من اليمامة إلى السراة، وحسب راي سبرنجر هي نفس جبال شمر، ولكن الأخباريين يرجعون منازلهم إلى تهامة"(٣).

"والأنبار مدينة قديمة البنيان، هاجر إليها عرب تنوخ، وقد ازدهرت هذه المدينة، وقد تبين من دراسة آثارها أنها من المواقع السابقة على عصر الدولة الساسانية، وقد ازدهرت هذه المدينة وعمرت في عصر سابور الثاني، الذي حصنها بالقلاع والأسوار لكي تسهم في مقاومة غارات الرّوم على بلاده، وحفر إلى الجنوب منها نهراً يصل الفرات بدجلة كان يعرف باسم نهر عيسى. واكتسبت الأنبار بفضل هذا النهر أهمية عظمى، إذ أصبحت مركزاً تجارياً هاماً ومخزناً للأموال"(٤).

والحيرة أيضاً مدينة قديمة البنيان، لكن تاريخ إنشائها مجهول، وللغويين والإخباريين أقوال وآراء في أصل اسم (الحيرة)، وبينهم في ذلك جدل على التسمية طويل،

---

(١) عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، دار النهضة العربية، ١٩٧١م، ص ٢٤٢.

(٢) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٦٩.

(٣) عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

(٤) للاستفاضة مراجعة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة الحيرة، ج٢، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

وإيراده هنا يخرجنا عن صلب الموضوع، وهي أقوال لا تستند إلى نصوص جاهلية، ولا إلى سند جاهلي محفوظ. ولمن أراد الاستفاضة مراجعة المراجع المتخصصة[١].

وإلى عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي يرجع الفضل في إعادة بناء الحيرة، فهو "أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول ملك يعده الحيريون في كتبهم من ملوك عرب العراق، وملوك العراق إليه ينتسبون وهم آل نصر"[٢].

ويذكر الأخباريون أن مدينة الحيرة من بناء نختنصر [٣] غير أنها خربت بعد وفاته حتى نزلها عمرو بن عدي [٤]، ولكن استيفان البيزنطي يشير إلى أنها "Eertha" مدينة فارثية[٥].

وبعد أن أعاد عمرو بن عدي إعمارالحيرة سكنها ثلاثة طوائف: تنوخ والعباد والأحلاف. أما تنوخ فهم أصحاب المظال وبيت الشعر والوبر والأخبية الذين لم يسكنوا بيوت المدر في الحيرة [٦]، وكانوا ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والأنبار والعباد هم الذين كانوا يسكنوا الحيرة وابتنوا بها، وذكر ابن العبري أن العباد "قوم من نصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وأنفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة، وتسموا بالعباد لأنه لا يضاف إلا إلى الخالق. وأما العبيد فيضاف إلى المخلوق والخالق"[٧]. والعباد قبائل كثيرة تعبدوا لملوكها[٨]، أما الاحلاف فهم الذين لحقوا بأهل

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٧٤. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

[٢] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٦٩. الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٦.

[٣] في تاريخ الأصفهاني (بخت نصر)، مصدر سابق، ص ٧٧. وكذلك في معجم البلدان، ج٣، ص ٢٠٤.

[٤] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

[٥] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٥٧.

[٦] أنظر: الاصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

[٧] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

[٨] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة حيرة، ج٣، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

الحيرة، ولم يكونوا من تنوخ الوبر ولا من العباد[١]، ولعلهم قوم من العرب حالفوا المناذرة واعترفوا بسيادتهم[٢].

ومدينة الحيرة تبعد ثلاثة أميال عن مدينة الكوفة [٣]، بالقرب من موقع يقال له النجف، ويرويها نهر كافر ويسمى نهر الحيرة، وفيه يقول المتلمس[٤]:

وأَلقَيْتُهَا في الثَّنْي مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلِّلٍ [٥]

رَضَيْتُ لهَا بالماءِ لَمَّا رأَيتُهَا يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ في كُلِّ جَدْوَلِ

وقد اشتهرت الحيرة برقة هوائها وصفاء جوها وعذوبة مائها، حتى قيل "يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنة "[٦]، وذكر حمزة أن العرب كانت تقول "لبيتة ليلة بالحيرة أنفع من تناول شربة "[٧].

وقد شهدت الحيرة في عصر اللخميين ازدهاراً علمياً لم تشهده عاصمة عربية في العصر الجاهلي. إذ كانت تزخر بمعاهد العلم ومدارسه، فقد تلقى ايليا الحيري مؤسس دير مارا ايليا في الموصل دراسته الدينية في مدرسة الحيرة، كما تلقى مار عبدا الكبير

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

[٢] عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢٥٤.

[٣] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة الحيرة، ج٣، ص ٢٠١.

[٤] المتلمس الضبعي، **الديوان**، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الطبعة الثانية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٦٥. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة كافر، ج٧، ص ١١٥.

[٥] **الثني**: مثنى النهر، وهو جانبه. **كافر**: اسم علم لنهر الحيرة. **أقنو**: أحفظ، نقول: حفظي لهذا لهذا الكتاب أن أرمي به في الماء.

[٦] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

[٧] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مرجع سابق، ص ٨٧.

دراسته في إحدى مدارس الحيرة [١]. وفي الحيرة تعلم المرقش الأكبر وأخوه حرملة الكتابة على أحد النصارى من أهلها [٢].

ويعد موقع الحيرة من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهارها ثقافياً، فوقوعها بين العراق والشام وبلاد العرب كان سبباً في احتكاك أهلها بغيرهم من الشعوب، إذ تأثروا بالثقافات الفارسية والسريانية واليونانية، كما ساهم معرفة بعض أهالي الحيرة اللغة الفارسية في نقل كثير من آدب الفرس [٣].

وقد شجع ملوك الحيرة من البيت اللخمي الشعراء، فأجزوا لهم العطايا والصلات، فوفد إليها من شعراء الجاهلية المرقش الأكبر، والمرقش الأصغر، وعمرو بن قميئة والمتلمس، وطرفة بن العبد، وعبيد بن الأبرص، والمثقب العبدي، والمنخل اليشكري، والنابغة الذبياني، وحنظلة الطائي، ولبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي، وغيرهم من الشعراء [٤].

اشتغل أهل الحيرة بالزراعة والرعي، فجمعوا بين حياة البداوة والاستقرار وقد فرضت عليهم طبيعة المكان الذي تقع عليها الحيرة هذه الحياة، وكانت مزارع النخيل والبساتين تمتد في نواحيها من النجف حتى الفرات كذلك اشتغل الحيريون بالتجارة، فقد كان قرب الحيرة من الفرات يتيح لأهلها أن يركبوا السفن في الفرات أن يركبوا السفن في الفرات حتى الأبلة ثم يركبوا السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة المشرق والى البحرين وعدن من جهة الغرب، وكانت تتوارد على الحيرة المتاجر العظام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرهما[٥]، ومن الحيرة كانت القوافل تحمل تجارة الهند والصين وعمان والبحرين إلى تدمر وحوران، وترتب على هذه الحرفة تدفق الثروات على أهل الحيرة، فأقاموا القصور

---

[١] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٩٦، عن يوسف رزق غنيمة، ص ٩٠.

[٢] أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج٦، ص ١٣٩.

[٣] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

[٤] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٨٢ وما بعدها.

[٥] البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (٤٣٢-٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع الكبرى**، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص ٤٧٨.

واستمتعوا بالحياة واستقدموا المغنيين والمغنيات، واتخذوا في دورهم نفيس الأثاث والرياش[١] واستعملوا الأواني الفضية والذهبية للأكل [٢]، وناموا على فرش الحرير فوق الأسرة المجللة بالكلل كما قال عدي بن زيد:

ثانيات قطائف الخز والديـ ـباج فوق الخدور والأنماط

موقرات من اللحوم وفيها لطف في البنان والأوساط[٣]

واشتهرت الحيرة بصناعة الاسلحة من سيوف وسهام ونصال للرماح، أما صناعة التحف المعدنية والحلى فكانت من أرقى الصناعات في الحيرة، فقد كان الصاغة الحيريون يتفنون ويبدعون في صناعة أدوات الزينة من ذهب وفضة ويرصعونها بالجواهر واليواقيت. وذاعت شهرة الخزف الحيري وصناعة الجلود الدباغة والتحف المصنوعة من العاج[٤].

كما أتقن أهل الحيرة فن العمارة وأخذوه عن الفرس، بحكم مجاورتهم وتبعيتهم لهم، ولكنهم طوروا في نظام العمارة عندهم تطويراً أبعده عن أصوله الأولى، وأصبح الطراز الحيري في فن البناء طرازاً قائماً بذاته. وقد ظل الطراز الحيري لبناء القصور معروفاً في العصر الإسلامي، ويذكر المسعودي أن المتوكل العباسي اتبع في بناء قصوره نظام البناء المعروف بالحيري والكمين والأروقة[٥]، واشتهرت الحيرة بقصورها التي ضربت الأمثال في عظمتها مثل قصري الخورنق والسدير، وبأديرتها التي أُقيمت بها منذ أن انتشرت المسيحية بين سكانها[٦].

---

[١] أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٤.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٧.

[٣] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة ملطاط، ج ٨، ص ٣١٥.

[٤] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٣٠١.

[٥] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٤، ص ٨٩. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ص ٣٠١ – ٣٠٢.

[٦] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٧. أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢، ص ٩٦.

أما فيما يتعلق بالحياة الدينية، فقد كان أهل الحيرة إما وثنيين يعبدون الأصنام، أو صابئة يعبدون الكواكب، أو مجوساً يعبدون النار أو نصارى ويهوداً، فمن أصنام الحيرة، صنمان يعرفان بالضيزنين كان جذيمة يستسقى ويستنصر بهما على العدو. ومن أصنام الحيرة صنم يقال له سبد كانوا يحلفون به ويقولون "حق سبد"[١]، وكان منهم من يعبد العزى ويتقرب إليها بالذبائح. وعرفت الحيرة عبادة القمر. أما الزندقة فقد كان مركزها الحيرة ومنها انتقلت إلى قريش[٢]، والمراد بالزندقة الثنوية، كذلك سادت المزدكية في عصر قباد[٣].

---

[١] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٣١٠.

[٢] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٣٠٥. الألوسي، محمود شكري، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، دارالكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٢٢٨.

[٣] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٢٠. أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٩، ص ٩٦.

ثانياً: الحياة السياسية

كانت الحيرة عاصمة أمراء لخم، وكان هؤلاء صنائع للفرس، وتتشابه الأسباب والعوامل في نشأة كل من إمارة الغساسنة في الشام، وإمارة المناذرة في الحيرة، فقد نشأت مملكة المناذرة في كنف الإمبراطورية الساسانية، وكان للفرس مصلحة في استقرار ملوك الحيرة، وتوطد حكمهم على حدودها الغربية، ليقوموا بدور الحراسة على حدودها، ضد اعتداءات الرّوم، وعملائهم من الغساسنة ولضبط القبائل العربية، وكبح جماحها عن التطاول على السواد، والتربع فيه، ولتأمين سلامة القوافل التجارية الذاهبة من فارس إلى مكة واليمن وغيرها من أسواق العرب، وقد اتصفت الحيرة وما يليها من السوّاد بخصب الأرض، ووفرة المياه، وطيب المناخ مما ساعد على استقرار حكم المناذرة وقوتهم. وقد عاش المناذرة حياة حضرية مترفة، اصطبغت بالصبغة الفارسية. واعتمدوا الأساليب الفارسية في بناء الجيش والحروب. وعرف أهل الحيرة الكتابة فاستخدمهم الفرس في أمر الترجمة بينهم وبين العرب[١].

ولم يكن بسط السلطان على القبائل العربية، ودخولها في دين المناذرة، والتزامها عدم الإغارة على السواد أمراً هيناً، فالقبائل إذا وجدت في نفسها اقتداراً وقوة، ووجدت في الملك ضعفاً ووهناً، شقت عصا الطاعة، وقامت بالغزو والإغارة والسلب والنهب، فالخروج على دين الملوك طبع أصيل فيهم. لذلك فقد وضع الفرس كتيبة من الجند تحت إمرة المناذرة، وقاموا بتقديم المساعدات المالية والأعطيات السنوية لهم[٢].

وقد تزعزعت ثقة الفرس بالمناذرة ولا سيما في أواخر عهدهم، لعجز ملوك المناذرة المتأخرين عن القيام بواجب الحماية، من منع القبائل العربية المتاخمة لحدود الفرس الإغارة عليهم، كما عجزوا عن حماية قوافل التجارة الفارسية الذاهبة لليمن، وعن حماية لطائمهم الذاهبة إلى أسواق العرب[٣].

---

[١] محمد دقة، **السفارة السياسية وآدابها في العصر الجاهلي**، وزارة القافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٢٣٠.

[٢] محمد دقة، **السفارة السياسية وآدابها في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[٣] ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغداي، **المحبر**، إيلزة ليختن شتيتر،دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت ص ١٩٦.

"وقد اقتضت العلاقات القوية بين المناذرة والفرس تبادل السفراء والرسل للتشاور في الأمور، وتبادل الرأي، فقد كان ملوك الحيرة يفدون على كسرى، أو يرسلون سفراءهم، إذا اشتدت عليهم الخطوب في جبهات القتال، أو طرأت أحداث سياسية، تستحق ذلك كما كان لهم وفادة على كسرى في وقت معلوم من كل عام"[١].

"غير أن من المؤسف أن المؤرخين قد أهملوا جمهرة تلك السفارات، ولم يذكروا إلا القليل منها، ولعل سفارة المنذر بن ماء السماء على كسرى أنو شروان من أقدم تلك السفارات التي ذكرها المؤرخون، فقد قيل إنه لما هلك "قباذ" واعتلى "أنو شروان" عرش الملك وفد عليه المنذر بن ماء السماء، وكان المنذر طريداً، ضائع الملك، فأعاد "أنو شروان" المنذر إلى حكم الحيرة، ولاحق الحارث بن عمرو الكندي، الذي كان قد جمع الحيرة إلى ملكه، وكان موالياً "لقباذ" ويقال أن قباذ هو الذي ولى الحارث على الحيرة وطرد المنذر منها[٢]. وكان السبب في ذلك أن قباذ كان قد دان "بالمزدكية" وحمل الفرس عليها، ودعا المنذر إليها، فأبى المنذر، وقبل الحارث الكندي الدخول فيها. فعزل المنذر عن الحيرة وولاها للحارث"[٣].

غير أن الطبري ذكر أن الحارث بن عمرو قد سار إلى بلاد الحيرة بجيش عظيم، فقاتل النعمان بن أمرئ القيس، فقتله، وهزم أصحابه، وأفلت ابنه المنذر بن ماء السماء[٤].

ولم تكن الفرس شديدة الثقة بولاء المناذرة لهم، فلما هلك أبو النعمان المنذر بن المنذر، أوكل كسرى بن هرمز حكم الحيرة إلى إياس بن قبيصة الطائي، ريثما يرى رأيه في أولاد المنذر، ويبدو أن الشك بولائهم بلغ درجة عظيمة، دفعت كسرى إلى التفكير باحتلال الحيرة، وإدارتها من قبل الفرس مباشرة، ولكن كسرى عاد فرأى مخاطر هذه السياسة، فشاور عدي بن زيد في الأمر، فاقترح عدي عليه، أن يولي أحد

---

[١] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤٥. محمد دقة، **السفارة السياسية وأدابها في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٢٣١.

[٢] أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٩، ص ٩٦. محمد دقة، **السفارة السياسية وأدابها في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٢٣١.

[٣] المصدر نفسه، ج٩، ص ٩٦.

[٤] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج ١، ص ٤١٧.

أولاد المنذر، فأمر بإحضارهم، فشخص عدي إلى الحيرة، فوفدوا معه جميعاً، ونزلوا عنده. وكان عدي ميالاً إلى النعمان بن المنذر، فوعده أن يسعى في تمليكه، وفعل ذلك حقاً[1].

لكن عهد المودة لم يدم طويلاً بين النعمان بن المنذر وعدي بن زيد، فقد تمكن ابن مرينا من الكيد لعدي لدى النعمان، حتى وجد عليه، وأودعه السجن وقيل إن سبب حبسه أن ابن مرينا وبعض أصحابه، كتبوا كتاباً على لسان عدي إلى "قهرمان" للنعمان، ثم دسوا عليه حتى أخذوا الكتاب منه، وأتوا به النعمان، فقرأة، فاشتد غضبه، وأرسل إلى عدي وهو يومئذ عند كسرى يدعوه لزيارته، فلما أتاه حبسه في حبس لا يدخل عليه أحد فيه[2]. وبقي فيه حتى قتله النعمان.

---

[1] ابن سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٢. محمد دقة، **السفارة السياسية وأدابها في العصر الجاهلي**، مرجع سابق، ص٢٣٣.

[2] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤٧٢-٤٧٣. ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ) **الكامل في التاريخ**، تحقيق: خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص ٤٠٧.

ثالثاً: الحياة العسكرية

عرفنا فيما سبق أن ملوك آل نصر أولخم هم عمال لملوك الفرس، وقد اقتضت هذه الإمارة أن يقوم المناذرة بحماية الثغور الفارسية، من هجمات أعدائهم الرّوم، وعملائهم من الغساسنة، وضبط القبائل العربية، ومنعها من التطاول عليها، وتأمين الحماية للقوافل التجارية الذاهبة من فارس والعائدة إليها. وعليه فقد كان على المناذرة الدخول في حروب كثيرة مع الغساسنة منافسيهم في الشام، ومع العرب الذين يحاولون شق عصا الطاعة بين فترة وأخرى.

ولم يكن إخضاع العرب والتملك عليهم بالأمر الهين، وقد أدرك الفرس ذلك، فوضعوا –كما ذكرنا– كتيبة من الجند تحت إمرة المناذرة، وكان أول من أخضع العرب لإمرته الأمير اللخمي أمرؤ القيس، وهو أول ملوك الحيرة الذي وصل عنهم خبر مدونٌ[١]. وقد عرف "أنه كان رجلاً محارباً، وقائداً كبيراً، أخضع قبيلتي أسد ونزار، وهزم مذحجاً، وأخضع معداً، ووزع بنيه في القبائل، وبلغت فتوحاته أسوار (نجران) مدينة (شمر). وهو بهذه الفتوحات قد تمكن من معظم أنحاء الجزيرة". وعليه يكون "قد بسط سلطانه على كل العرب"[٢].

وقد لقب أمرؤ القيس بـ (المحرق) أو (محرق العرب)، ويرى الأخباريون أن سبب تلقيبه بهذا اللقب يعود إلى معاقبته أعداءه في أثناء غزوهم بحرق أماكنهم بالنار[٣].

وبعده انتقلت الإمارة إلى ابنه النعمان الأول، الذي نال شهرة كبيرة بين ملوك الحيرة، ويبدو أنه كان جديراً بهذه الشهرة، فقد وصفه الأخباريون بأنه كان صارماً حازماً ضابطاً لملكه، ويذكر حمزة أنه "كان من أشد ملوك العرب نكاية بالأعداء، وأبعدهم مغاراً، وغزا الشام مراراً كثيرة، وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم"[٤].

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٨٩.

[٢] المرجع نفسه، ص ١٩٠.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٨٨.

[٤] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٩. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢٣١.

أما فيما يختص بقوته العسكرية فقد جعل ملك الفرس معه كتيبتين يقال أحـــداهما دوسر وهي لتنوخ وللأخرى الشهباء وهي لفارس، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب[١]. ويظهر أن كتيبته دوسر التنوخية كانت من القوة بحيث ضرب العـــرب بها المثل في البطش فقالوا "أبطش من دوسر"[٢]. ودوسر مشتقة من الدسر وهو الطعـــن بالثقل لثقل وطئتها. وفي قوة هذه الكتيبة ومساهمتها في استقرار ملك المناذرة في الحيرة قال أحد الشعراء:

ضَـــرَبَتْ دَوْسَـــرُ فِـــيهم ضَـــرْبَةً أَثْبَتَـــتْ أَوْتَـــادَ مُلْـــكٍ فَاسْـــتَقِرّ[٣]

كما وذكر أن جيشه كان يتكون من خمس كتائب منها دوسر والأشاهب (أي بيض الوجوه، وهم أخوة الملك وبنو عمه من يتبعهم من أعوانهم [٤] وفيهم قال الأعشى:

وَبَنِي المُنْذَرِ الأشَاهِبِ بِالحِيـــــ ـــرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كَالسُّـــيُوفِ [٥]

---

[١] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٠٥. حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٩.

[٢] الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠. وذكر هذا البيت في ديوان المثقب العبـــدي ورواية الديوان:

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فِيهم ضَرْبَةً أَثْبَتَتْ أَوْتَادَ مُلْكٍ مُسْتَقِرّ

انظر: المثقب العبدي، **الديوان**، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، ص ٧٤.

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص ١٥١. الألوسي، **بلوغ الأرب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٧٦.

[٤] الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠.

[٥] الأعشى، ميمون بن قيس، **الديوان**، شرح: محمد محمد حسين، الطبعة السابعة، مؤسســـة الرســـالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٣٦٥.

ثم ثلاث أخريات هي [1]:

١. **الرهائن:** وكانوا خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة، ثم يحل محلهم خمسمائة آخرون في فصل الربيع.
٢. **الصنائع:** وهو بنو قيس وبنو تيم اللات ابنا ثعلبة، وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه.
٣. **الوضائع:** كانوا ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الفرس في الحيرة نجدة لملوك العرب، وكانوا يرابطون سنة ثم ينصرفون ويأتي مكانهم ألف جدد.

وبعده جاء المنذر بن أمرئ القيس، الذي كان محارباً شجاعاً، قضى حياته في غزو بلاد الرّوم والعرب، وتمكن في بعض حروبه من أسر قائدين للروم، وأرسل إليه الرّوم وفداً للمفاوضة في إطلاق سراح القائدين[2].

وهاجم المنذر بلاد الرّوم مؤيداً الفرس، وتوغل في بلاد الشام، وغنم غنائم كثيرة، ثم عاود غزوه لبلاد الشام بعد مرور عام، وتوغل في البلاد حتى بلغ حدود أنطاكية، ولم تنقطع المناوشات بين المنذر وبين الحارث الجفني بسبب تنازعهما على الأتاوة التي كانت تجبى من عرب منطقة تدمر، ولم تنته هذه الحروب إلا بمصرع المنذر بن أمرئ القيس في موقعة حليمة، والتي سنأتي على ذكرها عند دراستنا للحياة العسكرية عند الغساسنة[3].

وينسب ابن الأثير يوم أوارة الأول إلى المنذر بن امرئ القيس، فيذكر أنه سار إلى بكر بن وائل في جموع جيشه، فالتقوا بأوارة وأسفرت المعركة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي، فأمر المنذر بقتله فقتل، وقتل في المعركة بشر كثير وأسر

---

[1] المبرد، محمد بن يزيد(ت ٢٨٦هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، مصدر سابق، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، ص ٢٨٨. الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠. الألوسي، **بلوغ الأرب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٧٦.

[2] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢١٩.

[3] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص ٢١٩ وما بعدها. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢٣٩.

المنذر من بكر عدداً كبيراً من الأسرى أمر بهم فذبحوا على جبل أوارة، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار[١].

ثم تولى الملك النعمان بن المنذر، وكان بفضل عدي بن زيد، الذي قتله النعمان فيما بعد، وقد غزا قرقيسيا[٢]، وتعرضت الحيرة في زمنه، وفي أثناء غيابه بالبحرين لغارة قام بها جفنة بن النعمان الجفني[٣]، ويبدو أن النعمان بن المنذر لم يكن موفقاً في حروبه التي خاضها مع العرب، ففي يوم طخفة هزمه بنو يربوع، وكادوا يقتلونه[٤]، وفي يوم السلان انهزم جيش النعمان، هزمه بنو عامر بن صعصعة، وأُسِرَ وبرة بن رومانس الكلبي أخو النعمان، فافتداه النعمان بألف بعير وفرس من يزيد بن الصعق[٥].

ويزعم الأخباريون أن النعمان قتل تحت أرجل الفيلة، في المدائن، بسبب المكيدة التي دبرها له يزيد بن عدي للانتقام من مقتل أبيه، وبعد قتل النعمان دخل العرب في حرب ضروس مع الفرس، عرفت بموقعة ذي قار، كان سببها مطالبة كسرى أبرويز هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني بتسليم الودائع التي أودعها النعمان لديه، فلما أبى هانئ تسليم ما أؤتمن عليه لغير أهله، غضب كسرى وأرسل جيوشه لتأديب العرب، فالتحموا مع الجيش العربي بأرض ذي قار، وانجلت الحرب عن هزيمة الفرس، وانكسارهم كسرة هائلة، وقتل أكثرهم وانتصر العرب إنتصاراً عظيماً، وانتصفت فيه العرب من العجم[٦].

---

(١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٩. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٢) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٥.

(٣) الطبري، **تاريخ الطبري**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٧٥.

(٤) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٥٣١.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢٤. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢٤٩.

(٦) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٩٣ وما بعدها.

ويسجل مصرع النعمان على يد كسرى فارس نهاية حكم اللخميين، غير أن بعض المؤرخين يزعمون أن حكم المناذرة انقطع فترة وعاد على يدي المنـــذر المغـــرور ودام حتى فتح المسلمون الحيرة[1].

[1] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٨٣. الأصفهاني، **تـــاريخ ســـني ملـــوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٧.

رابعاً: أبرز ملوك المناذرة

سكن الحيرة – كما يزعم الأخباريون– قبل المناذرة أو اللخميين أقوام شتى، كما يزعمون أنها بنيت وخربت كثيراً، وهذا ليس مجال حديثنا، والذي يعنينا البناء الأخير الذي تم على يد عمرو بن عدي، والذي يعده الأخباريون أول من أتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب اللخميين، ولعل وفرة المصادر التي تحدثنا عن تاريخ الحيرة وعن ملوكها تجعل من الصعب على الدارس أن يتصور حدوث خلاف بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة وعددهم وعدد ملوكهم، ويعود ذلك لدى هؤلاء أنهم أخذوا علمهم بتاريخ الحيرة من كتب كانت مدونة ومحفوظة في الحيرة نفسها، ومن موارد أخرى هي الكتب الفارسية، وقد ذكر بعضهم ملاحظات من مثل قول ابن الكلبي: "إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة، ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة، وفيها ملكهم وأمورهم كلها"[١].

فمثل هذا التصريح لا يصور لنا وقوع اختلاف كبير بين الأخباريين في أسماء ملوك الحيرة، ومبالغ أعمارهم، وتاريخ سنيهم وغير ذلك، غير أننا نجد بين الأخباريين اختلافاً غير يسير في أسماء الملوك وترتيب توليهم الحكم ومقدار حكمهم. والغريب في الأمر أنهم جميعاً اعتمدوا على موارد مشتركة، ثم تراهم يعودون فيختلفون في بعض الأمور.

وقد يزيد عدد ملوك الحيرة على العشرين ملكاً بقليل عند بعض الأخباريين، وقد ينقص عن هذا العدد عند البعض الآخر. وقد ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب إلى أن عدة ملوكهم ثلاثة وعشرون ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس، وأن مدة ملكهم ستمائة واثنتان وعشرون سنة وثمانية أشهر[٢].

بينما ذكر حمزة الأصفهاني أن عدة ملوك الحيرة من آل نصر والعباد والفرس خمسة وعشرون ملكاً، وأن مدة ملكهم منذ عهد عمرو بن عدي الذي اتخذها منزلاً إلى أن وضعت الكوفة واتخذت منزلاً في الإسلام هي خمسمائة وبضع وثلاثون سنة[٣].

ويرى الاستاذ جواد علي أن الفاحص للقوائم التي سجلها الأخباريون لملوك الحيرة وما ذكروه من مدة حكم كل ملك إجمالاً، ثم قابله بما ذكروه بالنسبة إلى حكمهم مجزءاً

---

[١] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٦٩– ٣٧٠.

[٢] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٠.

[٣] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض الأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

على مدد حكم ملوك الفرس، يجد اختلافاً بين ما ذكروه إجمالاً ثم ما ذكروه تفصيلاً، وكذلك يجد مثل هذا الاختلاف بين المدة الإجمالية التي ذكروها لعمر مملكة الحيرة وبين المدد التي ذكروها الحكم كل ملك على وجه الإجمال، مما يدل على أنهم لم ينتبهوا إلى ملاحظة أمثال هذه الأمور الضرورية للمؤرخين[١].

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك المناذرة هي قائمة حمزة الأصفهاني وتتألف من: عمرو بن عدي بن نصر، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً، وإليه ينسب ملوك العراق آل نصر ملك الحيرة بعد خاله جذيمة الأبرش، وكان ملكه مائة وثمان عشرة سنة، منها في زمان ملوك طوائف العراق خمس وتسعون سنة، وفي زمان ملوك بني ساسان ثلاث وعشرون سنة. وقد كان ملكاً منفرداً بسلطانه مستبداً بأمره، يغزو المغازي ويصيب الغنائم وتجبى إليه الأموال وتفد عليه الوفود[٢].

ويذكر حمزة أن هذا التاريخ موافق لما في كتاب المحبر، ومخالف لما في كتاب المعارف[٣].

وجاء من بعده ابنه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي، وهو أمرؤ القيس المبدأ، أمه مارية بنت عمرو وأخت كعب من عمرو الأزدي وكان ملكه مائة وأربع عشرة سنة في زمن شابور بن أردشير[٤]، وفي زمن شابور، وبهرام بن هرمز، وبهرام بن بهرام، وبهرام بن بهرام بن بهرام، ونرسي بن بهرام بن بهرام، وفي زمن نرسي، وفي زمن شابور ذي الأكتاف[٥]. وكل هؤلاء الملوك عاصرهم بحياته وملكه.

ثم ملك من بعده ابنه عمرو بن امرئ القيس، وأمه هر بنت كعب بن عمرو، وكان ملكه ستين سنة، منها إحدى وخمسين سنة وسبعة أشهر في زمان شابور ذي الأكتاف[٦]، وفي زمن أردشير أخي شابور خمس سنين، وفي زمن شابور بن شابور أربع سنين وخمسة أشهر[٧].

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٣، ص ٣٠٥.

[٢] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ص ص ٧٦، ٧٧.

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٧.

[٤] المصدر نفسه، ص ص ٧٧-٣٨.

[٥] البعض يرويها سابور، أنظر، الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١، ص ٣٦٩.

[٦] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٧.

[٧] المصدر نفسه، ص ٧٨.

ثم استخلف الفرس من بعد عمرو بن أمرئ القيس أوس بن قلام بن بطينا بن جميهد بن طيان العمليقي خمس سنين[١]، ثم عاد الملك إلى بيته، فتولى الحيرة العرب، فملكهم أمرؤ القيس، ويقال له: محرق الأول، وهو الذي عناه الأسود بن يعفر في قوله[٢]:

ماذا أؤمل بعد آل مُحرِّق تَركوا منازلَهم وبعد إياد

وكان الفضل في عودة الملك لآل نصر، ولبنوا خاران – وهو من عمالقة الحيرة– الذين ثاروا بأوس بن قلام فقتلوه، وقد سمي محرقاً لأنه أول من عاقب بالنار[٣].

ثم ملك من بعده شخص يدعى عمرو بن الطوق، ولكنه على ما يبدو ليس من ملوك المناذرة، لأن حمزة الأصفهاني يذكره ثم يعود ويقول: "ثم ملك بعد امرئ القيس ابنه النعمان الأعور"[٤].

ثم ملك من بعده ابنه النعمان بن أمرئ القيس المعروف بالنعمان الأعور السائح، وهو باني الخورنق والسدير وفارس حليمة، وأمه شقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة. وكان النعمان من أشد ملوك العرب نكاية في الأعداء وأبعدهم مغاراً، وغزا الشام مراراً كثيرةً وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم، وكان ملك الفرس جعل معه كتيبتين يقال لأحداهما: الشهباء وأهلها من الفرس، والأخرى: دوسر وأهلها من تنوخ، فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب، وكان حازماً صارماً ضابطاً لملكه واجتمع له من الأموال والخيول والرقيق ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة.

ويذكر حمزة الأصفهاني: "أنه جلس يوماً في مجلسة من الخورنق، فاشرف على النجف وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار بما يلي المغرب، وعلى الفرات مما يلي المشرق، فأعجبه ما رأى، فتفكر وقال في نفسه: أي درك في هذا الذي قد ملكته اليوم ويملكه غداً غيري، فبعث إلى حجابه ونحاهم عن بابه، فلما جن عليه الليل التحف بكساء وساح في الارض فلم يره أحد، وفيه يقول عدي بن زيد مخاطباً النعمان بن المنذر [٥]:

---

[١] المصدر نفسه، ص ٧٨.

[٢] الأسود بن يعفر، **الديوان**، تحقيق: نور القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د. ت، ص ص ٢٦، ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٧.

[٣] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٧٨.

[٤] المصدر نفسه، ص ص ٧٨-٧٩.

[٥] المصدر نفسه، ص ص ٧٩-٨٠. والأبيات موجودة في كتاب المعارف لابن قتيبة، مصدر سابق، ص ٦٤٧.

وَتَــدَبَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَــق إذْ أَشْــــ ـــرَف يَوْمــــاً ولِلْهُــدَى تَفْكِـــيرُ

سَــرَّه حالُهُ وكثــرةُ مــا يَمْــــ ـــلكُ والْبَحْــرُ مُعْــرِضٌ والسَّدِيـــرُ

فــأرْعــوَى قَلْبُه وقَالَ: وما غِبْــ ـــطة حَــيٍّ إلــى المَمَــاتِ يَصــيرُ؟

وكــانت مــدة ملك النعمان من يــوم ملك إلى أن ســاح فــي الأرض ثلاثــين سنة[١]. ثم ملك من بعده ابنه المنذر بن النعمان، وأمه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغَسَّاني، وكان ملكه أربعاً وأربعين سنة في زمن بهرام جور، ويزدجــرد بــن بهــرام، وفيروز ابن يزدجرد[٢]. ثم ملك من بعده ابنه الأسود بن المنذر، وأمه هند بنت النعمــان وهي من بني الهيجمانية من لخم، وكان ملكه عشرين سنة في زمن كل من فيــروز بــن يزدجرد، وبلاش بن فيروز، وقباذ بن فيروز[٣].

ثم جاء من بعده أخوه المنذر بن المنذر، وكان ملكه سبع سنين في زمن قباذ بــن فيروز[٤]. ثم ملك من بعده ابن أخيه، النعمان بن الأسود، وأمه أم الملك بنت عمرو بــن حجر، أخت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي وكان ملكه أربع سنين في زمن قباذ بــن فيروز[٥]. ثم ملك من بعده من غير بيت الملك أبو يعفر بن علقمة الزُّمَيْلي، وذميل بطــن من لخم، وكان ملكه ثلاث سنوات في زمن قباذ بن فيروز[٦].

ثم ملك من بعده من بيت الملك امرؤ القيس بن النعمان الأعور السائح، وهو الذي غزا بكراً، يوم أوارة، وكانوا أنصار بني آكل المرار وهزمهم، وقد كانت بكر قبله تقــيم أود ملوك الحيرة وتعضدهم. وهو أيضاً باني الحصن الذي يقال له الصِّنبر على يد البناء الرّومي سِنِّمار، وفي هذا الحصن قيل هذا الشعر:

ليت شــعــري متى تخبّ بــه الناقـــة نحـــو العـــذيب والصـــنبر؟

---

(١) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨١.

وهو أيضاً قاتل سنمار حين فرغ من بناء القصر، وفيه يقول الملتمس[1]:

جَزَانِي أَخُو لَخْمٍ، عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبِ

وكان ملكه سبع سنين في زمن قباذ بن فيروز[2].

ثم ملك من بعده ابنه المنذر بن امرئ القيس، وهو الذي يقال له: المنذر بن ماء السماء وهو ذو القرنين وماء السماء أمه: وهي ماوية بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة، ويقال: بل هي أخت كليب ومهلهل، وسميت بذلك لجمالها، قتله الحارث الأعرج، وهو الحارث الوهاب الجفني يوم عين أباغ، وهو اليوم الذي قيل فيه: "ما يوم حليمة بسر".

وفي كتاب المعارف لابن قتيبة: "أن الذي قتله الحارث الأعرج في يوم حليمة هو المنذر بن امرئ القيس، وكان يوم عين أباغ بعد يوم حليمة، والمقتول في يوم عين أباغ المنذر بن المنذر، خرج يطلب بدم أبيه فقتله الحارث الأعرج أيضاً"[3].

قال: "وقد سمعنا من يذكر أن قاتله مرة بن كلثوم أخو عمرو بن كلثوم التغلبي"[4]. وكان ملكه اثنتين وثلاثين سنة في زمن قباذ بن فيروز، وزمن أنو شيروان كسرى بن قباذ[5].

ثم انتقل الملك من البيت اللخمي إلى الحارث بن عمرو، وهو الحارث بن الحارث بن عمرو بن حجر، آكل المرار الكندي، وكان سبب انتقال الملك من لخم إلى كندة، طلب قباذ ملك الفرس من المنذر بن امرئ القيس أن يتبع دين مزدك من إباحة النساء والاشتراك فيهن، فأبى ذلك، ولم تساعده عليه غيرة العرب، فهرب من الحيرة، ونزل على بني كلب.

فملك قباذ على الحيرة الحارث بن عمرو ملك كندة، ويرى حمزة الأصفهاني أنه ليس بمعدود من ملوك الحيرة لأنه لم ينزلها وإنما كان جوالاً في بلاد العرب.

---

(1) المتلمس الضبعي، **الديوان**، مصدر سابق، ص٢٧٥.

(2) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨١.

(3) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(4) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(5) المصدر نفسه، ص ٨٢.

ولما مات قباذ وملك ابنه أنو شيروان، قاتل المزدكية، وقضى عليها، رد المنذر بن امرئ القيس إلى ملكه بالحيرة[١]. ثم ملك من بعده ابنه عمرو بن المنذر، المعروف بـ عمرو بن هند، نسب إلى أمه لاشتهارها، وهي بنت عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر، بنت عمرو بن الكندي آكل المرار، ولدت للمنذر بن ماء السماء عمراً وقابوساً والمنذر.

وعمرو بن هند هو مُضرّط الحجارة لشدته، وهو محرِّق الثاني، وهو الذي فتك به عمرو بن كلثوم فقتله، ولذلك قال الأخطل:

أبنـــي كليـــب إن عَمَّـــيَّ اللـــذا قـــتلا الملـــوك وفكّكـــا الأغـــلالا

وكان عمرو بن هند شديد السلطان، فقد غزا تميماً في دارها، وأحرق مـن بنـي دارم مائة بالنار، يوم أوارة الثاني، وذلك بسبب قتلهم أخاه اسعد بن المنذر.

وكان ملك عمرو بن هند ست عشرة سنة في زمن أنو شروان[٢].

ثم ملك من بعده أخوه قابوس بن المنذر، وكان ملكه أربع سنين في زمـن أنـو شيروان، ويقال أنه لم يملك، وإنما سموه ملكاً لأن أباه وأخاه كانا ملكين، وكان فيه لـين، فسموه: قينة العرس، ويقال: أنه كان ضعيفاً مهيناً قتله رجل من يشكر[٣]. ثم ملـك أنـو شيروان على الحيرة فتشهرب الفارسي سنة[٤].

ثم ملك من بعد قابوس أخوه المنذر بن المنذر، وكان ملكه اربع سنين في زمن أنو شيروان، وابنه هرمز[٥]، وهو الذي خرج إلى جهة الشام طالباً دم أبيه، فقتـل الحـارث الأعرج الغَسَّاني. ثم ملك من بعده ابنه، النعمان بن المنذر، أبو قابوس وهو "قاتل عبيد بن الأبرص الشاعر يوم بؤسه، وقاتل عدي بن زيد، وصاحب النابغة الذبياني، وهو غـازي قرقيسياء، وباني الغرّيين وهما طربالان[٦] كان يغريهما بدم من يقتله في يوم بؤسه، وكان وكان عابد وثن، ويزعم أهل الأخبار إنه دخل في النصرانية، وإن عدي بن زيد هو الذي

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ص ٨٢-٨٣.

[٢] المصدر نفسه، ص ٨٤.

[٣] المصدر نفسه، ص ٨٥.

[٤] المصدر نفسه، ص ٨٥.

[٥] المصدر نفسه، ص ٨٥.

[٦] الطربال: كل بناء عال كالصومعة والمنارة. ابن سعيد الأندلسي ، **نشوة الطرب في تـاريخ جاهليـة العرب**، مصدر سابق، ج١ ص ٢٨٠.

نصره، وكان ذلك إنه خرج ذات يوم ومعه عدي ابن زيد، فوقف بظهر الحيرة على مقابر، فقال له عدي: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه المقابر؟ قال: لا؟ قال: إنها تقول:

أيها الركب المخبّون على الأرض مجدّون

مثل ما أنتم حيينا وكما نحن تكونون

فقال له: أعد، فقال: إنها تقول:

رُبَّ ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحو لعب الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فارعوى وتنصر، وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة في زمن هرمز بن أنو شيروان، وفي زمن كسرى بن هرمز. وقتله كسرى أبرويز بن هرمز فانقطع الملك عن لخم، وبسبب قتله وقعت حرب ذي قار[١]، بين العرب والفرس.

ثم ولى كسرى على العرب بعد النعمان بن المنذر، إياس بن قبيصة الطائي، وبقي في الملك سبع سنين، ولسنة وستة أشهر من ملكه بعث النبي صلى الله عليه وسلم[٢]. ثم ملك العرب والحيرة بعد إياس زاديه الفارسي[٣].

ثم تولى الملك بالحيرة، المنذر بن النعمان بن المنذر، وسمته العرب المغرور، وهو المقتول بالبحرين يوم جواثا [٤].

يقول حمزة الأصفهاني، "فجميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة من بعدهم، خمسة وعشرون ملكاً في مدة ستماية وثلاث وعشرين سنة واحد عشر شهراً"[٥].

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ص ص ٨٥-٨٦.

[٢] المصدر نفسه، ص ٨٦.

[٣] المصدر نفسه، ص ٨٦.

[٤] المصدر نفسه، ص ٨٧.

[٥] المصدر نفسه، ص ٨٧.

المطلب الثاني: الغساسنة في المصادر التاريخية

تمهـــيد

عقب انهيار سد مأرب الشهير، في أواخر القرن الثالث الميلادي، هاجر الغساسنة إلى الشمال، إذا أن النسابين يرجعون نسبهم إلى عرب الجنوب اليمنيين. ويشـــير بعـــض الباحثين إلى أن الغساسنة أثناء رحلتهم من الجنوب إلى الشمال – أي من اليمن إلى الشام – نزلوا على ماء في تهامة يقال له غسان، فحملوا اسمه وقيل لهم من يومها الغساســـنة. في حين أن بعض الباحثين مثل جرجي زيدان – والمؤرخون لا يثقون بروايته لشعوبيته وكيده للعرب – يرى أن الغسانيين هم عرب تهامة العدنانيين، أو غيرهم من العرب ممن ضاعت أنسابهم، وأنهم انتحلوا الانتساب إلى عرب اليمن التماساً للفخر في بلاد الشام التي رحلوا إليها، ويستدل على ذلك من معبوداتهم وهي من معبودات بلاد الشام، ومن بداوتهم وكثرة ترحالهم في حين أن أهل اليمن كانوا أهل استقرار وحضارة، وكذلك من اســـمائهم التي تشبه اسماء الأنباط الذين سنكوا مشارف بـــلاد الشـــام قـــبلهم، كالحـــارث وثعلبـــة والنعمان[١].

وبعد طول ترحال وتنقل، نزل الغساسنة فيما يعرف اليوم بالبلقاء وحوران وهناك تغلبوا على الضجاعمة القضاعيين وأسسوا لأنفسهم دولة، وتعـــرف أنقاضـــها "بأســـكي الشام"[٢]، أو بصرى الشام، ومكنوا لأنفسهم عند الرّوم الذين اتخذوا منهم أتباعاً يستعينون بهم على الفرس أعدائهم التقليديين، وعلى العرب البداة الذين كانوا يغيرون على ممتلكاتهم بين الحين والحين.

وما ذكره المؤرخون العرب عن ملوك هذه الدولة كان كثير الاختلاف والتناقض في ما يتعلق بعددهم وأسمائهم وسنيِّ حكمهم. فعددهم في كتاب المعارف لابن قتيبة أحد عشر[٣]، وفي تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني اثنـــان وثلاثـــون[٤]،

---

[١] انظر: جرجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٤٤.

[٢] المرجع نفسه، ص ٢٤٦.

[٣] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤١ وما بعدها.

[٤] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٦.

وفي تاريخ أبي الفداء واحد وثلاثون[١]، وفي مروج الذهب للمسعودي أحد عشر [٢]، أما جرجي زيدان فجعلهم تسعة[٣].

ومثلما اختلفوا في عدد ملوكهم، اختلفوا في أول من ملك منهم، فسماه بعضهم، ثعلبة، وبعضهم الآخر، الحارث بن عمرو، وذكر غيرهم أن اسمه، جفنة، بينما ذكر آخرون غير ذلك[٤]، ومهما يكن أمر هذا الاختلاف فإن المصادر كلها تكاد تتفق على كون الحارث بن جبلة أول ملوك غَسَّان الذين يقرهم التاريخ، بل هو أعظمهم على الإطلاق[٥]، وقد حظي هذا الملك برضى الرّوم لما أبلاه في حروبهم ضد الفرس، فأنعموا عليه بقلب (بطريق) ولقب (فيلارك) وهو يعني شيخ القبيلة، وهذا اللقبان يعدان من أعظم الألقاب في الدولة البيزنطية بعد لقب الامبراطور[٦].

وأبلى الحارث هذا أيضاً في حروبه ضد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وقد أسر المنذر في إحدى الوقفات أحد أبناء الحارث، فقدمه ضحية للعزى، ثم ما لبث أن انتقم لنفسه في "يوم حليمة" المشهور، فقتل المنذر نفسه وأدرك ثأره منه[٧].

ويذكر المؤرخون أن الحارث بن عمرو زار القسطنطينية في تشرين الثاني من سنة (٥٦٣م)، "فاستقبل استقبالاً حافلاً، وأثر عميقاً في نفوس أهل العاصمة وفي رجال

---

[١] أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، مصدر سابق، ج١، ص ١١٩.

[٢] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٥.

[٣] جرجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص ٢٥١.

[٤] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤١.

[٥] أنظر: فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، أشرف على مراجعته وتحريره: جبرائيل جبور، ترجمة: كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت، ج١، ص ٤٤٧. جرجي زيدان، **العرب قبل الإسلام**، ص ٢٥١.

[٦] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٣، ص ص ٤٠٦- ٤٠٧. فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ج١، ص ٤٤٧.

[٧] انظر: ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٢. ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج١، ص ٤٥٢ وما بعدها، جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج٣، ص ص ٤٠٧-٤٠٨. محمد أبو الفضل، **أيام العرب في الجاهلية**، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ص ٤٩. فيليب حتي، **تاريخ سورية**، ج١، ص ص ٤٤٧-٤٤٨.

القصر والحاشية"[١]، وقد عمل الحارث في أثناء زيارته على تعيين يعقوب البردعي مطران الرها أسقفاً على الكنسية السورية[٢]، التي صارت تعرف فيما بعد بكنيسة اليعاقبة نسبة اليه.

واستمر العصر الذهبي للغساسنة في عصر المنذر بن الحارث الذي دحر ملك الحيرة قابوس بن هند في موقعه "عين أباغ"[٣] ثم عاد فأغار على الحيرة وأحرقها، وبلغ المنذر من القوة حداً جعله يتمرد على الرّوم مدة ثلاث سنوات ويضطرهم لاسترضائه في معاهدة عقدت بينه وبينهم في نحو سنة ٥٧٥م في رصافة الشام، وقد زار بعدها القسطنطينية فاحتفى به وأنعم عليه بالتاج البيزنطي تكريماً له وإعلاء لشأنه، غير أن البيزنطيين ما لبثوا أن تنكروا لحليفهم، فألقى القبض عليه ونفي إلى صقلية[٤].

أما ابنه النعمان بن المنذر فقد أغار على بيزنطة بالذات وعاث فساداً في أراضيها[٥]، غير أن الرّومان عادوا فألقوا القبض عليه وسيق أسيراً إلى القسطنطينية.

وبعد النعمان بن المنذر شهد الغساسنة عصور تفكك واضمحلال استمرت حتى قيام جبلة بن الأيهم آخر ملوكهم، الذي أعاد لعزهم بعض الانتعاش، وقد حارب جبلة هذا في صفوف الرّوم في معركة اليرموك الحاسمة بين العرب المسلمين والرّوم سنة ١٥ هـ الموافق ٦٣٦م[٦]، ثم ما لبث أن أسلم في أيام عمر بن الخطاب، ليعود فيرتد عن الإسلام،

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص ٤٠٩.

[٢] المرجع نفسه ص ص ٤٠٨-٤٠٩. فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٤٨.

[٣] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ص ٤١٢-٤١٣.

[٤] المرجع نفسه، ج٣، ص ٤١٤ وما بعدها.

[٥] المرجع نفسه ، ج٣، ص ٤١٧.

[٦] ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين، (ت ٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، وذكر فضلها وتسمية من خلها، تحقيق سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦، ج١، ص ٥٥٣.

الإسلام، ويفر هو وأصحابه إلى القسطنطينية، لما علم أن الإسلام سوف يساويه ببقية المسلمين، وهو أمر لم يكن ليرتضيه من جبُل على العظمة وجعل الناس عبيداً له[1].

لقد كان للغساسنة حضارة متميزة قضت عليها الأيام وتنقصتها الأحداث، ولا تزال آثارهم الظاهرة في بصرى الشام شاهدة على ما كان لهم من مدينة ظلت زاهية مدة من الزمن، واستطاع الغساسنة خلالها إقامة السدود والأقنية والمسارح والمعابد والحمامات العمومية إضافة إلى القصور الكثيرة وأقواس النصر.

وقد شدت هذه المدينة الزاهرة شعراء الجاهلية إليها، فتوافدوا إليها يمتدحون أمراءها ويشيدون بانتصاراتهم، وكان من أشهر هؤلاء الشعراء لبيد بن ربيع العامري، والنابعة الذبياني، وحسان بن ثابت.

---

[1] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٤. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، د.ط، ص ٣٧٢. فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٥٠.

أولاً: الحياة الاجتماعية

حكم عرب بلاد الشام تحت إمرة البيزنطيين، عرب عرفوا بـــ (آل غسان)، وبـــ (آل جفنة)، وبـــ (آل الغساسنة). وقد استمر حكمهم إلى الإسلام، فلما فتح المسلمون بلاد الشام، والت حكومتهم وذهب سلطانهم كما ذهب ملك (آل لخم) منافسوهم في العراق.

ويزعم الاخباريون أن هؤلاء لم يرحلوا إلى الشام مباشرة، وإنما أقاموا حيناً مـــن الوقت بين بلاد الأشعريين وعك، على ماء يقال له غَسَّان، وأصلهم من الأزد، وذلك بعد خروجهم من اليمن قبيل حادث العرم أو بعده، فلما أقاموا عليه وشربوا منه، نسبوا إليـــه، ويفسر المسعودي هذه النسبة بقوله: " وإنما غَسَّان ماء شربوا منه، فسموا بذلك، وهو مـــا بين زبيد ورمع، وادي الأشعريين بأرض اليمن" [1]. ويدعم المسعودي هذا ببيت لحســـان بن ثابت:

إِمَّا سَـــأَلْتَ فإِنَّـــا مَعْشَـــرٌ نُجُـــبٌ الأزْدُ نِسْـــبَتُنا وَالمَـــاءُ غَسَّـــانُ [2]

ولم يحدد أهل الأخبار زمن حدوث سيل العرم، وتهدم السد. لذلك لا نســـتطيع أن نستنبط شيئاً من رواياتهم عن هذا الحادث في تحديد وقت وصول الغساســـنة إلـــى بـــلاد الشام، وحادث تصدع السد لم يكن حادثاً واحداً، حتى نعتبره مبدأ لتـــأريخ هجـــرة الأزد وغيرهم من قبائل اليمن نحو الشمال.

---

[1] المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ١١٣. انظر: ابن هشام، عبد الملـــك (ت ٢١٨هـــ)، **الســـيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث، بيـــروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص ص ٤٥-٤٦. حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٩. أبو سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب**، ج١، ص ١٤٠ وما بعدها.

[2] حسان بن ثابت، **الديوان**، شرح وضبط: عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٢٣.

ويزعم الاخباريون أن قائد الغساسنة في خروجهم من اليمن، هو عمرو بن عامر المعروف بـــ(مزيقياء) وهو ابن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القـــيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث[١].

ويقدم الأخباريون لتسمية عمرو بمزيقياء تفسيرين مختلفـــين، يـــذكرهما حمـــزة الأصفهاني، أحدهما أن الأزد تزعم (أن عمراً سمّي مزيقياء لأنه كان يمزق كل يوم سني ملكه حلتين لئلا يلبسها غيره، فسمي هو مزيقياء، فهذا قول. وقيل: إنما سمي مزيقياء، لأن الأزد تمزقت على عهده كل ممزق عنده هروبهم من سيل العرم، فاتخذت العرب افتـــراق الأزد عن أرض سبأ بسيل العرم مثلاً، فقالوا: "ذهبت بنو فلان أيـــادي ســـبأ "[٢]. ومـــن الواضح أن التفسير الأول تفسير خرافي، لعل المقصود به إظهار ثراء عمرو بن عـــامر وجاهه، غير أن البعض يرجح التفسير الثاني، معتقدون أنه مأخوذ أصلاً عن قوله تعالى:

﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم احاديث، ومزقناهم كـــل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾[٣].

---

[١] حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، مصدر سابق، ص ٩٠. ابن حزم، **جمهـــرة أنســـاب العرب**، مصدر سابق، ص ٣٣١. ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشـــيق القيروانـــي (ت ٤٦٣هـــ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخـــانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص ص ٩٦١-٩٦٢. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الطبعة الرابعة عشـــر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩، ج٥، ص ٨٠. عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٩٩٧م، ج٣، ص ٨٨٥.

[٢] الميداني، **مجمع الأمثـــال**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤١، المثل رقم ١٤٥٤، لكن تختلف صيغةالمثل فعنده **(ذهبوا أيدي سبأ، وتفرقوا أيدي سبأ)**. حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملـــوك الأرض والأنبيـــاء**، ص ٩٠. عمر رضا كحالة، **معجم القبائل**، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٨٥.

[٣] القرآن الكريم، سورة سبأ، آية ١٩.

ويسمى الغساسنة أيضاً بآل جفنة وبأولاد جفنة[١]، لأن أول ملكوهم "جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد"[٢]، والى جفنة ينسب أحد أمراء الغساسنة، وهو الحارث الأول بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، والذي يسميه النابغة بالحارث الجفني[٣].

ولِلْحارثِ الجَفْنِّي سيِّد قومِهِ لَيلْتَمسَنْ بالجيشِ دار المَحارِبِ

وينسب آل غَسَّان إلى جد آخر، يُعرف بـ(ثعلبة بن مازن) وقد أشير إلى (عرب الرّوم من آل ثعلبة) [٤]. وقد ذُكر أن رئيس غَسَّان الذي قضى على (الضجاعمة)، وانتزع الملك من (سليح)، هو (ثعلبة) بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدي بن مازن بن الأزد. ومن نسله كان ملوك غَسَّان [٥].

ويظهر من روايات الأخباريين أن الغساسنة أخذوا الحكم من أيدي عرب كانوا يحكمون هذه المنطقة قبلهم ويدعون بـ (الضجاعمة)، وهم من (سليح بن حلوان) [٦].

---

[١] يقول حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

راجع حسان بن ثابت الأنصاري، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، الطبعة الأولى، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٧١، ج٢، ص ٢٨٠.

[٢] حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٠.

[٣] النابغة الذبياني، **الديوان**، صنعة ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٥٦.

[٤] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، مرجع سابق، ص ٣٩١.

[٥] ابن حبيب، **المحبر**، مصدر سابق، ص ٣٧١.

[٦] الأصفهاني، **تاريخ ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٠. ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٧٩.

ولقد دخل الغساسنة في حرب مع الضجاعمة في بلاد الشام، ولم يكن التغلب عليهم بالأمر اليسير، فقد ذكر حمزة الأصفهاني أنَّ غَسَّان لمّا نزلت في جوار سليح بن حلوان، ضربت سليح عليهم الإتاوة، فلما طالب سبيط الضجعمي ثعلبة بن عمرو الغَسَّاني بالإتاوة، تحايل عليه حتى قتله أخوه جذع بن عمرو، فقامت الحرب بين سليح وغَسَّان وانتهت بهزيمة سليح، وآل الملك إلى غَسَّان. غير أن تغلب الغساسنة على بني سليح الضجاعمة لم يقض على هؤلاء نهائياً[١].

وقد ذكر أهل الأخبار أن (بني سليح) بقوا في بلاد الشام، إذ ذكروهم في أخبار الفتوح، وكانوا من جملة من أقام على النصرانية من عرب الشام، وقد أسلم قسم منهم، وكانوا في (قنسرين) في أيام المهدي[٢].

كانت ديار غَسَّان، كما نستنتج من أشعار العرب تمتد ما بين الجولان واليرموك[٣]، وكانوا يقيمون بالقرب من دمشق في موضع على نهر بردى يعرف بجلق، وقد أشار حسان بن ثابت إلى هذا الموضع في قوله [٤]:

أَتْظُرْ خَلِيلي بِبَطْنِ جِلَّقَ هَلْ تؤنِسُ [٥] دوُنَ البَلْقاءِ مِنْ أحَدِ

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٠. ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٧٩.عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص١٧٩.

[٢] البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٥٢.

[٣] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٥. عمر رضا كحالة، **معجم القبائل العربية**، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٨٥.

[٤] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٦٤. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة جلق، ج٢، ص ٦٩. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢١٠.

[٥] **تؤنس**: تبصر

وقوله أيضاً [١]:

للهِ دَرُّ عِصَـــــــابَةٍ نـــــــادَمْتُهُمْ يوْمــاً بجِلِّــق فــي الزّمــانِ الأوَّلِ

كما قال يصف ديار الغساسنة عند رثائه لجبلة بن الأيهم[٢]:

لِمَـــنِ الـــدَّارُ أوْحشَـــتْ بمَعَـــانِ بَـــيْنُ أعلـــى اليرْمُـــوكِ فالخَمَّـــان

فالقُرَيّـــاتِ مِـــنْ بِـــلاسَ فَـــدارَ يّا، فسَكّاء، فالقُصـــورِ الـــدّوانَي [٣]

فَقفـــا جاسِـــمٍ، فأوْدِيَـــةَ الصُّـــ ـــفَّرِ، مَغْنَـــى قَبَائِـــلٍ وَهِجَـــانِ [٤]

وكانت الجولان[٥]، قاعدة لملك الغساسنة ومعسكراً لهم في بلاد الشام يقول النابغة النابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث [٦]:

بَكَى حَارِثُ الَجْولانِ مِنْ هُلْكِ رَبِّهِ وحَوْرانُ مِنْـــهُ خَاشِـــعٌ مُتَضـــائِلُ

واتخذ الغساسنة مدينة الجابية مركزاً لإمارتهم، وتقع الجابية بالقرب مـــن مـــرج الصفر في شمال حوران، ويذكر المؤرخون أنه لم تصل إلينا قط إشارة إلى أن الغساسنة

---

[١] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٢.

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٢٤. المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٥، مع اختلاف في رواية الأبيات.

[٣] معان واليرموك والخمان وجميع المواضع المذكورة كانت ملك آل جفنة.

[٤] **المغنى**: المنزل. **الهجان**: جمه هجان (بالفتح): الرجل الأبيض ذو الحسب الرفيع.

[٥] الجولان قرية وقيل جبيل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران، ياقوت، **معجـــم البلـــدان**، مصـــدر سابق، مادة جولان، ج٣، ص ٩٥.

[٦] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٢٠. عبدالعزيز سالم، **تـــاريخ العـــرب فـــي عصـــر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢١١.

كانوا يمتلكون أياً من الأماكن المحصنة أو من المدن التي كانت مركزاً للجيش كدمشق وبصرى أو كتدمر[١].

وقد اشتغل الغساسنة بالزراعة، فاستغلوا مياه حوران[٢] التي تتدفق من أعلى الجبال في الزراعة، فغمرت القرى والضياع، وعدد حسان من بينها ثلاثين قرية ومنها (الجواء) و(عذراء)، وهما موضعان بأكتاف دمشق. ويضاف إليها (مرج عذراء) و(بطن جلق) و(البلقاء) و(المحبس) و(السند) و(بصرى)، (جبل الثلج) غير أن اهتمام أمراء غَسَّان بالبنيان كان أعظم، فعلى الرغم من إقامتهم في البوادي فإنهم أقاموا كثيراً من الأبنية من قصور وقناطر وأبراج وغيرها. وينسب حمزة الأصفهاني إلى ثلاثة عشر أميراً منهم تشييد القصور والأبنية المقامة [٣].

وهناك أبنية لم يذكرها حمزة الأصفهاني، ولكنها تدخل في عداد المنشآت التي أقامها الغساسنة، منها قصر المشتى الذي يرجع إنشاؤه إلى القرن الخامس الميلادي[٤]، وقلعة القسطل المجاورة لهذا القصر شبيهة في بنائها بقصر المشتى، وقد ذكر حمزة أنها من بناء جبلة من الحارث[٥].

وقد أسهمت أشعار حسان بن ثابت في وصف حياة الغساسنة في السلم والحرب، وهو وصف يلقي الضوء على حضارتهم، ومن ذلك قول حسان يرثي آل جفنة [٦].

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، مرجع سابق، ص ٤٣٧، وما بعدها.عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ٢١١.

[٢] كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة الجنوب، ذات قرى ومزارع وحراء وقصبتها بصرى، ياقوت، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة حوران، مجلد ٢، ص ٣١٧.

[٣] حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٨٩ وما بعدها.عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢١٢.

[٤] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

[٥] حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٢.

[٦] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٦٣-١٦٤. عبدالعزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص٢١٣.

أسَألتَ رَسْمَ الـــدَّار أمْ لَـــمْ تَسْـــأل ... بينَ الجوابي فالبُضَـــيعِ فَحَوْمَـــلِ[١]

فالمَرْجِ مَـــرْجِ الصُّـــفَّرَيْنِ فجاسِـــمٍ ... فَدِيارِ ســـلْمى دُرَّســـاً لَـــمْ تُحَلَـــلِ[٢]

دِمَـــنٌ تَعَاقَبُهـــا الرِّيـــاحُ دَوَارِسٌ ... والمُدْجِناتُ من السِّـــماكِ الأعْـــزَلِ[٣]

دارٌ لِقَـــوْمٍ قَـــدْ أراهُـــمْ مَـــرّةً ... فَـــوْقَ الأَعِـــزَّةِ عِـــزُّهمْ لَـــمْ يُنْقَـــلِ

للهِ درُّ عِصَـــــــابَةٍ نَـــــــادَمْتُهُمْ ... يوْماً بجِلِّـــق فـــي الزّمـــانِ الأوَّلِ[٤]

يمشونَ في الحُلَلِ المُضاعَفِ نسجُها ... مَشْيَ الجِمالِ إلى الجِمـــالِ البُـــزّلِ[٥]

الضَّارِبونَ الكَـــبْشَ يبـــرُق بيْضُـــهُ ... ضَرْباً يَطِيحُ لَـــهُ بنَـــانُ المَفْصِـــلِ[٦]

وَالخَـــــالِطونَ فَقِيـــرُهمْ بِغنّـــيهِمْ ... والمُنِعمونَ على الضّعيفِ المُرْمِلِ[٧]

وقد أورد في هذه القصيدة أسماء مواضع، منها: (الجوابي)، أي (جابية الجولان)، و(البضيع)، وهو جبل قصير أسود على تل بأرض البلة فيما بين (سيل) و(ذات الصنمين) و(حومل) و(مرج الصفرين)، وهو موضع بغوطة دمشق، و(جاسم)، وهي قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ على يمين الطريق إلى طبرية. وكل هذه الأماكن التي ذكرها هـــي

---

[١] **الجوابي:** قرية في الجولان وهي بين دمشق والأردن. **البضيع:** جبل بأرض الشـــام. **حومـــل:** اســـم موضع.

[٢] **مرج الصفرين:** موضع بغوطة دمشق. **جاسم:** قرية في الجولان. **درسا:** دارسة عافية. **لم تحلل:** لـــم ينزل بها أحد.

[٣] **الدمن:** بقايا الديار. **تتعاقبها الرياح:** تتوالى عليها. **المدجنات:** السحب الممطرات. **السماك:** من منازل القمر.

[٤] **جلّق:** موضع قريب من دمشق.

[٥] **البزل:** جمع بازل، البعير استكمل الثامنة وطعن بالتاسعة.

[٦] **الكبش:** سيد الجماعة. **البيضة:**الخوذة. **البنان:** الأصبع.

[٧] **المرمل:** الذي نفد ما معه من الزاد.

منازل كانت لآل جفنة، إلا أنها خربت، وتركها أهلها حتى صارت دوارس تعاقبها الرياح[١].

يقف حسان على أطلال الغساسنة، التي صارت رسوماً ليس فيها أحد، ويتبين لنا من ذكر المنازل أنها كانت أشبه بالمدن وهذا دليل على مدى ازدهار هذه المناطق التي عني الغساسنة بها عندما سكنوها مما يلقي الضوء على بعض جوانب حياتهم الاجتماعية، فالاهتمام بتشييد القرى والمدن سببه الاستقرار الذي افتقر إليه العرب في باديتهم. وعندما أشار الشاعر إلى مشيهم في الحلل إنما أعطانا دليلاً أخر على حضارتهم فهم يهتمون بمظهرهم الخارجي الذي يعتنون بملابسهم.

ولقد كان الغساسنة كلهم على النصرانية وكانوا أصحاب دين وعقيدة، وكانت لهم بيع وكنائس بنوها لهم ولرعيتهم[٢].

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٣٧.

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٣٧.

ثانياً: الحياة السياسية

كانت الشام خاضعة لنفوذ الرّوم، وكان أمراء الشام الضَّجاعمة ومن بعدهم الغساسنة صنائع للرّوم، وكانت السياسة فيها تسير وفق المصالح الرّومية، وكان على الغساسنة حماية الثّغور الرّومية المتاخمة للقبائل العربية، من تطاول هذه القبائل عليها، وكذلك جمع الضرائب والأتاوى من القبائل العربية وتقديمها للرّوم[١].

ولم يقتصر اتصال الرّوم على الغساسنة، فقد تعداهم إلى الاستفادة من المنافسة بين شيوخ القبائل، ولا سيما في الأوقات التي كانوا يشكوّن فيها بولاء حلفائهم الغساسنة، فكانوا يكلّفونهم بضبط القبائل، والسيطرة عليها، مقابل أعطيات سنوية. فكان هذا يكفي الرّوم عبء استخدام قواتهم النظامية التي لم يكن من الهين عليها ولوج الصحراء، وتعقب العرب فيها[٢].

ولأهمية التجارة الخاصة في علاقة العرب مع جيرانهم كانت الجزيرة العربية طريقاً تجاريةً، تصل أطراف العالم المعمور آنذاك، فهي ملتقى أهم طرق التجارة الموصلة بين عالمي الشرق والغرب، وكان لهذا الموقع المتميز أعظم الأثر في قيام مدن وثغور تجارية كمكة وينبع[٣]. وكان للمصالح التجارية أثر كبير في نوعية العلاقات السياسية القائمة بين الرّوم والغساسنة والقبائل العربية الواقعة على ممرات التجارة[٤].

وعليه فقد أدرك الغساسنة الدّور الخطير الذي كانوا يقومون به، والخدمات الكبيرة التي كانوا يؤدّونها للرّوم، فصاروا يتحينون الفرص السانحة، والظروف المؤاتية لإرغامهم على رفع جعالاتهم، وزيادة امتيازاتهم، وإلاّ أضربوا عن الحراسة وأثاروا الأعراب، وقد حدث ذلك كثيراً على أثر الخلافات التي كانت تحصل بين أمراء الغساسنة والرّوم، فينسحب الغساسنة إلى الصحراء، ويمتنعوا بها، فاضطرب الأمن، وكانت

---

[١] الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢٤، ص ٥٤. عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية (العرب في حضارتهم وثقافتهم)**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨، الطبعة الثانية، ص ٦٨.

[٢] الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ص ١٨٨. عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٦٩.

[٣] عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب في عصرالجاهلية**، مرجع سابق، ص ٤٨٥.

[٤] المرجع نفسه، ص ٤٨٥.

الفرصة سانحة لأمراء الحيرة، ليشنوا هجمات قوية على بلاد الشام، وينزلوا بالرّوم ضربات موجعة، مما اضطر الرّوم إلى استرضاء الغساسنة، والاستجابة إلى مطالبهم في زيادة المنح والهدايا والحصول على امتيازات جديدة، تزيد على امتيازاتهم السابقة الممنوحة لهم، وقد روى المؤرخون أن نشأة الإمارة الغَسَّانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً، بمصالح الامبراطورية الرّومانية فقد ذكروا أن الغساسنة لما نزلوا أرض الشام، وثاروا على ملوكها الضجاعمة، وقتلوهم، أرسل إليهم ملك الرّوم "ديقيوس" يصطنعهم فقال: "أنتم قوم لكم بأس شديد، وعدد كثير، وقد قتلتم هذا الحي، وإني جاعلكم مكانهم، وكاتب بيني وبينكم كتاباً[1]: "إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الرّوم بأداتهم. وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس".

وبادية الشام أرض مكشوفة، وأبوابها مفتوحة، فإذا جاء سيد قبيلة من الصحراء، طامعاً في أرض ومُلك، ووجد في قبيلته كثرة وشوكة، نافس أمراء الأقوام الذين نزلوا قبله، فإذا تمكن من غلبة تلك الأقوام، وفرض نفوذه على تلك الأرضيين، ووجد الرّوم فيه شخصية قوية، تخلو عن حليفهم القديم، وجنحوا إلى مداهنة السيد الفتي، واسترضائه، فيبرمون معه المعاهدات والاتفاقيات، ويدفعون له جعالة سنوية، ويهدونه الهدايا، والألطاف، ويخلعون عليه الخلع، ويمنحونه ألقاباً مشرّفة، ليتعهد بحماية مصالحهم، والدفاع عن حدودهم من غارات البدو، وهجمات ملوك الحيرة، وهذا ما يطلبه الرّوم من أولئك الحلفاء[2].

وعلى الرغم من أن الرّوم كانوا يرون أن الصرامة لازمة في تعاملهم مع الأعراب، للحد من غلواء غزوهم للحدود والحواضر، فقد علمتهم التجارب أن القوة وحدها لا تكفي في ضبط الأعراب، وتوجيههم الوجهة التي يرغبون. واضطروا في كثير من الأحايين إلى تغيير سياستهم تجاههم، والى مداهنتهم واسترضائهم. وقد ذكر المؤرخ "أميانوس مرسيللينوس" أن شيوخ بعض القبائل العربية قد وفدوا على قيصر الرّوم "يوليان" وكان قد سار بجيشه إلى الفرات يريد محاربة الساسانيين، فقدموا له تاجاً من

---

[1] ابن حبيب، **المحبر**، مصدر سابق، ص ٣٧١.

[2] المصدر نفسه، ص ٣٧١.

ذهب، دلالة على خضوعهم له، ولقبوه لقب "ملك كل العرب"، فقبل القيصر منهم التاج واللقب، لما يحدثه ذلك من أثر معنوي في نفوس العرب. وقد حاربت تلك القبائل التي انضمت اليه الفرس في معارك صغيرة، فكافأها القيصر، إلا أنه لم يقدم لها معونات الذهب التي كانت تقدم عادة إلى شيوخ القبائل، فاستاؤوا من ذلك، وانحاز قسم منهم إلى الفرس وتحرشوا بجند "يوليان" وألحقوا بهم خسائر في الأرواح، وأخذوا منهم أُسراء باعوهم في سوق النخاسة[١]. وذكر جواد علي أن السبب في انضمام هذه القبائل إلى الرّوم ما لاقته من بطش كسرى الفرس "سابور الثاني" وتنكيله بها، فأرادت بانضمامها إلى الرّوم أن تنتقم من الفرس، وتأخذ بثأرها. وقد آذت الفرس فعلاً، مما حمل سابور على تغيير سياسته تجاههم، واسترضائهم فعاد قسم منهم إليه[٢].

ولقد استخدم الرّوم الدين سلاحاً لرعاية مصالحهم الاقتصادية والسياسية في الجزيرة العربية، فخاضوا المعارك الدينية قاصدين في ذلك التأثير في عقول العرب، ليكسبوا ولاءهم، ويسخروهم في خدمة مصالحهم ومآربهم تحت غطاء الوحدة في العقيدة، فسعى الرّوم لنشر النصرانية في الجزيرة العربية، فأرسلوا المبشرين، وساعدوهم، ولم يكن غرض الرّوم من بث النصرانية خالصاً لوجه الله[٣].

لقد اقتتلت العرب في عقائد سعى الأجنبي إلى نشرها، لتكون ذريعة لتدخلِهِ السياسي والعسكري، فجعل من أرض العرب مناطق نفوذ تابعة له، وجعل من أهلها أزلاماً وخولاً، لا إخوة في الدين[٤]، وقد كانت الغاية جلية واضحة، في حديث قيصر مع دوس ذي ثعلبان، فقد قال له القيصر، بعد أن وعده بنصره الأحباش: "إن هذا الذي أصنعه بكم أذلَّ للعرب أن يطأها سودان ليس ألوانهم على ألوانهم، ولا ألسنتهم على ألسنتهم، فقال دوس: المَلِكُ أَنظرُ لأهل دينه، إنما هم خَوَلَهُ "[٥].

---

[١] محمد دقة، **السفارة السياسية**، مرجع سابق، ص ٢٠٠ وما بعدها.

[٢] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٤٣.

[٣] المرجع نفسه، ج٣، ص ٢٠٤. محمد دقة، **السفارة السياسية**، مرجع سابق،ص ص٢٠٥-٢٠٦.

[٤] محمد دقة، **السفارة السياسية**، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

[٥] أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج١٧، ص ٣٠٤.

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات السياسية بين الغساسنة والرّوم، لم يكن يضبطها ضابط، وإنما تذبذبت بحسب المصالح التجارية أو الدينية وبما أن الولاء لم يكن صـــافياً، فلقد كان من الهين على أولئك تبديل ولائهم والتخلي عن حليفهم إذا اقتضـــت مصـــالحهم السياسية أو التجارية أو ولاؤهم الديني.

ثالثاً: الحياة العسكرية

لم تكن دولة الغساسنة دولة زراعية، تنشغل بأمورها الداخلية من زراعة وتجارة وتحسين علاقاتها مع القبائل المجاورة، بل كانت دولة مقاتلة شغلت في تاريخها بالحروب مع المناذرة منافسيهم واعدائهم في العراق، ومع القبائل التي كانت تتجرأ على حدودهم وحدود دولة الرّوم، وبما أن الغساسنة صنائع للروم كان من واجباتهم حماية الثغور الرّومية، المتاخمة للقبائل العربية، وجمع الضرائب والأتاوى من القبائل العربية وتقديمها للروم.

وبما أن نشأة الإمارة الغَسَّانية قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً، بمصالح الإمبراطورية الرّومانية، فقد أدرك الغساسنة أهمية الخدمات التي كانوا يؤدونها للروم، فصاروا يحاولون إرغامهم على رفع جعالاتهم، وزيادة امتيازاتهم، وإلا أضربوا عن حراسة ثغورهم وتبعاً لذلك دخل الغساسنة في حروب كثيرة مع المناذرة وغيرهم من الأعراب.

ولا بد لنا عند التطرق للحديث عن هذه الحروب من ذكر الأمراء الذين قادوها. ويرى المؤرخون أن أول أمراء الغساسنة العظام الحارث بن جبلة بن الحارث الجفني الذي ذكره المؤرخ السرياني ايرنيس على أنه كان عاملاً للروم[١]. وتكاد المصادر العربية تجمع على أنه ابن امرأة تسمى مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة[٢].

ويذكر أن الحارث بن جبلة حارب المنذر أمير عرب الفرس، والمقصود به المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، وانتصر عليه سنة ٥٢٨م[٣]، ويبدو أن الحارث بن جبلة الغَسَّاني قام بغزو بلاد المنذر بن النعمان ملك الحيرة، وأنه هزم جيش ابن النعمان وغنم غنائم كثيرة، وقد أدى ذلك إلى قيام الفرس بغزو شمال سورية واستولوا على مدن كثيرة مثل الرها ومنبج وقنسرين وانطاكية[٤].

---

[١] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

[٢] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٢. الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض**، مصدر سابق، ص ٩١.

[٣] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

[٤] المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

ويبدو أن النزاع بين الغساسنة والمناذرة كان سببه الأراضي التي أطلق عليها الرّوم اسم Start، وهي البادية الواقعة جنوبي تدمر على رأي بعض المؤرخين، ويرى البعض الآخر أنها الأراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس، فقد ادعى كل منهما أن قبائل العرب الضاربة في هذه الأراضي تخضع لسلطانه، وأنها تدفع له الجزية، وعلى هذا النحو قامت الحرب بينهما[١].

واستمر التوتر بين المعسكرين الغَسَّاني واللخمي على أشده حتى بعد أن عقدت الهدنة بين الرّوم والفرس، ولم ينته هذا الصراع بينهما إلا بعد أن قتل المنذر ملك الحيرة نفسه في موقعة دارت بينه وبين خصمه الحارث بالقرب من قنسرين [٢]، وتعرف هذه الموقعة بيوم حليمة، ويقال أن حليمة هذه بنت للحارث كانت تطيب الفتيان وتلبسهم الأكفان والدروع، وفيها جرى المثل: "ما يوم حليمة بسر"[٣]. وفيها قال النابغة [٤]:

يَوْمَا حَلِيمَةَ كانَا مِن قَديمِهِمُ وَعَيْنُ باغٍ فَكَانَ الأَمْرُ مَا ائْتُمِرا

يَا قَوم إِنَّ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرُ تَارِككُمْ فَلاَ تَكُونُوا لأدْنَى وَقْعَةٍ جَزَرَا

وبعد وفاة الحارث بن جبلة انتقلت الإمارة إلى ابنه المنذر، الذي ذكر حمزة الأصفهاني بأنه كان يلقب بالمنذر الأكبر تمييزاً له عن أخيه المنذر الأصغر[٥]، والمنذر الأكبر هذا هو بطل موقعة عين أباغ التي أشار بعضهم خطأً إلى أنها وقعت في سورية. والواقع أن عين أباغ حدثت في موضع بعيد عن سورية، فقد ذكر ياقوت أن عين أباغ "ليست بعين ماء وإنما هو واد وراء الأنبار على طريق الفرات والشام"[٦]، وذكر ابن الأثير أن أمير الغساسنة "يذكر أنه الحارث بن أبي شمر" أرسل جيشاً إلى الحيرة فانتهبها.

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٤، ص ١٢٠.

[٢] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[٣] الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣١٩.

[٤] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٤١.

[٥] حمزة الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩١.

[٦] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة عين أباغ، ج ٦، ص ٣٦٨.

وأحرقها، وأن اللقاء تم في عين أباغ[١]، مما يدل على أن عين أباغ وقعت بعيداً عن سورية، وفي موضع قريب من الحيرة. وفي هذه الموقعة انهزم جيش اللخميين هزيمة نكراء، وذكر بعض المؤرخين العرب أن ملك الحيرة قتل في هذه الواقعة[٢].

وقد عزم الرّوم على غزو إحدى ولايات فارس بالاشتراك مع المنذر، فوجدوا الجسر الكبير على نهر الفرات مهدماً، فاضطروا إلى العودة خائبين، فاعتبروا أن في الأمر تواطئاً بين المنذر والفرس، وعزوا هدم الجسر إلى خيانة من جانب المنذر، ولكن المنذر –اثباتاً لبراءته من هذه التهمة الملفقة– خرج وحده على رأس جيش كبير من العرب، وأغار على بلاد اللخميين، وأحرق الحيرة، وعاد من غزوته بغنائم كثيرة، ولعل هذه الغزوة كانت سبباً في أن يطلق عليه مؤرخو العرب لقب المحرق، وبه سمي خلفاؤه بآل المحرق[٣].

لكن الرّوم اعتبروا هذا الانتصار تحدياً لهم، ورغبة من المنذر في الخروج على طاعتهم، فقرروا الانتقام منه، فأصدروا الأوامر إلى حاكمهم على بلاد الشام بالقبض عليه، على الرغم من أن هذا الحاكم كان صديقاً للمنذر، فأرسل إلى المنذر يدعوه إلى حضور حفل افتتاح كنيسة تم تشييدها في بلدة حوارين، فلما كان على مقربة منه، قبض عليه وأرسله مخفوراً إلى العاصمة حيث أجبر على الإقامة فيها مع إحدى نسائه وبعض أولاده[٤]، وقد أثار هذا العمل غضب الغساسنة، فقام أولاد المنذر بالخروج على دولة الرّوم، فتركوا ديارهم وتحصنوا بالبادية، واتخذوها مركزاً لشن الغارات على حدود سورية فينهبون ويخربون، مما اضطر الرّوم إلى إرسال حملة لتأديب أبناء المنذر، غير أن مساعيهم الحربية لم تنجح، فعمدوا إلى المكيدة، فأرسل قائد الحملة إلى النعمان كبير

---

[١] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٤٥٠-٤٥١.

[٢] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٠ وما بعدها.

[٣] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٤١٥ وما بعدها. عبد العزيز سالم **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

[٤] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٤١٦.

أبناء المنذر يريد مقابلته للاتفاق على شروط الصلح، فصدق الأمير وذهب لمقابلته، فقبض الرّوم عليه، وأرسلوه أسيراً إلى القسطنطينية[١].

ويذكر المؤرخون أن عرب غَسَّان بعد هذا الحادث تفرقوا وانقسموا على أنفسهم إلى خمس عشرة فرقة لكل منها رئيس، تركت بعضها ديارها فهاجرت إلى العراق وتشتت الباقون، ولم يبق لهم شأن يذكر[٢].

وعلى هذا النحو أعقب أسر النعمان بن المنذر تصدع في إمارة غَسَّان، وتفككت وحدة عرب سوريا إلى حد أن كل قبيلة اختارت لها أميراً، وبدأت القبائل تتطاحن فيما بينها بعد أن فقدت زعيمها وملكها، وبدأت تغير على المناطق المتحضرة من سورية وتعيث فيها فساداً، الأمر الذي دفع الرّوم إلى ضرورة تعيين أمير جديد للغساسنة بدلاً من المنذر[٣].

ويختلف الأخباريون في ذكر أسماء أمراء غَسَّان بعد المنذر، اختلافاً كبيراً، ولكن مما لا شك فيه أن من تولى أمراء من غَسَّان بعد المنذر كانوا أضعافاً وأن مدد حكمهم كانت قصيرة[٤].

---

[١] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٤١٦.

[٢] المرجع نفسه، ج٣، ص ٤١٧.

[٣] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

[٤] المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

رابعاً: أبرز ملوك الغساسنة

النسب في الأزد كما تقدم، وغَسَّان ماء شربوا منه فعرفوا به، وقد عرفنا أنهم لما خرجوا من اليمن عند سيل العرم تفرقوا في البلاد. ثم استقروا في الشام، واتخذوها حاضرة لهم. ولا بد لنا عند الحديث عن أبرز ملوك الغساسنة، من الإشارة إلى ضعف مادة الأخباريين عنهم، وقلة معرفتهم بهم، فالباحث إذا درس هذا الذي ذكروه عنهم، وحلله تحليلاً علمياً لا يخرج منه إلا بنتائج تاريخية محدودة ضيقة، تدل على أنهم لم يكونوا يعرفون من أمرهم إلا القليل. وأنهم لم يحفظوا من أسماء أفراد العائلة الحاكمة غير أسماء قليلة، وما عدا ذلك فتكرار وإعادة للأسماء نفسها. ونحن إذا ما رجعنا إلى كتب التاريخ –كتاب الطبري انموذجاً– لا نكاد نجد فيه ما يذكر عن هؤلاء الأمراء، وقد تفوق كتب الأدب كتب التاريخ حديثاً في هذا الباب. ولعل الفضل في ذلك يعود إلى الشعر، فلعدد من شعراء الجاهلية الذين عاصروهم أشعار في مدح آل جفنة أو ذمهم، ولهم معهم ذكريات حفظت بفضل ذاك الشعر الذي يرويه الرواة ذاكرين المناسبات التي قيل فيها. فلولاه لضاع حتى هذا القليل الذي عرفناه من أخبار الغساسنة.

وحتى القوائم، التي يرى جواد علي –أنها جافة في الغالب– وقع بينها كثير من الاختلاف، ولم تستند إلى علم في ترتيبها، وقد اعتمد أكثر من رتب أسماء أمراء الغساسنة على رواية (ابن الكلبي) [1]، غير أنهم كما يظهر من مدوناتهم لم يرووها عنه رواية تامة، بل غيروا فيها، فزادوا عليها أو نقصوا منها.

ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب، أن عدة من ملكوا من آل غَسَّان أحد عشر ملكاً، ولكنه لم يذكر في قائمته: إلا سبعة منهم[2].

أما ملوك الغساسنة، كما جاء في كتاب المحبر، فإنهم أحد عشر ملكاً أيضاً، ولكن هناك اختلاف بين المحبر والمروج في الترتيب التسلسلي وذكر الأسماء[3].

---

[1] جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٣، ص ٤٤٤.

[2] المسعودي، **مروج الذهب**، ج٢، ص ١٠٧، وما بعدها.

[3] ابن حبيب، **المحبر**، مصدر سابق، ص ٣٧٢.

وأشهر قائمة ذكرها الأخباريون لملوك غَسَّان، هي القائمة التي ذكرها حمزة الأصفهاني[١] وتتألف من: جفنة بن عمرو، وهو أول ملك من غَسَّان، وقد عرف بمزيقياء، بمزيقياء، وقد عرفنا فيما تقدم سبب هذه التسمية، وقد ملك الشام بعد قضائه على ملوك الضجاعمة، وكان الذي ملّكه على عرب الشام ملك من ملوك الرّوم يقال له نسطورس[٢]. نسطورس[٢]. وقد دانت له الشام ومن بها، وبني جلّق –وهي دمشق– والقرية وعدة مصانع[٣]، وكان ملكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر[٤].

ثم ولي بعده ابنه عمرو بن جفنة، ملك خمس سنين وبنى الأديار، ودان بالنصرانية[٥]. ثم ملك من بعده ابنه، ثعلبة بن عمرو، وبنى العديد من المباني بالبلقاء[٦] بالبلقاء[٦] وكان ملكه سبع عشرة سنة[٧]. ثم ملك من بعده ابنه، الحارث بن ثعلبة، ولم يبن يبن شيئاً وكان ملكه عشرين سنة[٨]. ثم ملك من بعده ابنه، جبلة بن الحارث، وبنى القناطر وأدرج والقسطل، وكان ملكه عشر سنين[٩].

ثم ملك من بعده ابنه، الحارث بن جبلة، وأمه مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة، وكان مسكنه بالبلقاء وبني بها الحفير، وكان ملكه عشر سنين[١٠]. ثم ملك من بعده ابنه، المنذر بن الحارث، وبنى حربا ورزقا، وكان ملكه ثلاث سنين[١١]. ثم ملك من بعده أخوه. النعمان بن الحارث، ثم ملك من بعده أخوه، المنذر بن الحارث، المعروف بالمنذر

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٠.

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٠.

[٣] **المصانع**: المباني من القصور والحصون والقرى والآبار وغيرها من الأمكنة العظيمة.

[٤] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٠.

[٥] المصدر نفسه، ص ٩٠.

[٦] **البلقاء**: هي عند العرب قديماً كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قبتها عمان. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة بلقاء، ج٢، ص ٣٨٥. وهي اليوم منطقة تمتد من نهر الزرقاء شمالاً إلى وادي زرقاء معين جنوباً. ومن أطراف عمان إلى غور الأردن، وهي إحدى المحافظات الأردنية، ومركزها مدينة السلط.

[٧] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩١.

[٨] المصدر نفسه، ص ٩١.

[٩] المصدر نفسه، ص ٩١.

[١٠] المصدر نفسه، ص ٩١.

[١١] المصدر نفسه، ص ٩١.

الأصغر أبو شمر بن الحارث بن مارية[١]. ثم ملك من بعده أخوه، جبلة بن الحارث، وكان مسكنه بحارب، فبنى حارب ومحارباً ومنيعة، وكان ملكه أربعاً وثلاثين سنة[٢].

ثم ملك من بعده أخوه، الأيهم بن الحارث، وبنى أدرياراً منها: دير ضخم، ودير النبوة[٣]. ثم ملك من بعده أخوه، عمرو بن الحارث، وبنى مباني منها: قصر الفضا، وقصر منار، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة وشهرين[٤]. ثم ملك من بعده، جفنة الأصغر، وهو جفنة الأصغر بن المنذر بن الحارث بن مارية، وهو محرق، سموه بذلك لأنه حرق الحيرة، فعرف ولد بآل محرق. وكان جوالاً في الآفاق، وكان ملكه ثلاثين سنة[٥].

ثم ملك من بعده. النعمان بن المنذر، وهو النعمان الأصغر بن المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية[٦]. ثم ملك من بعده، النعمان بن عمرو بن المنذر، الذي بنى قصر السويداء[٧]، وقصر حارب عند صيداء[٨]، وهو الذي مدحه النابغة الذبياني[٩]:

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعد نِعْمَةٍ لِوالِدِهِ ليسَتْ بذاتِ عَقارِبِ[١٠]

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٢.

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٢.

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٢.

[٤] المصدر نفسه، ص ٩٢.

[٥] المصدر نفسه، ص ص ٩٢-٩٣.

[٦] المصدر نفسه، ص ٩٣.

[٧] **السويداء:** قرية في حورن نواحي دمشق، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة سويداء، ج٥، ص ٩٦. وهي اليوم محافظة في جنوب سورية.

[٨] **صيداء:** مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، شرقي صور بينهما ستة فراسخ، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة صيداء، ج٥، ص ٢١٢. وهي اليوم مدينة لبنانية تقع على شاطئ البحر المتوسط، على بعد اثنين وعشرين ميلاً شمال صور.

[٩] من قصيده المشهورة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٤.

[١٠] **ليست بذات عقارب:** لا يكدرها ولا يمنعها.

وذكر أباه المنذر بقوله[1]:

لَئِنْ كَانَ للقَبْــرَيْنِ: قَبْــرِ بِجِلِّــقٍ وَقبْرٍ بصَيْداء، الَّتي عِنْدَ حَارِبِ[2]

حَــــــــــــــــــــــــارِبِ[2]

وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة[3].

ثم ملك بعده، جبلة بن النعمان، وكان منزله بصفين[4]، وهو صاحب عين أبــاغ، وقاتل المنذر بن ماء السماء، وكان ملكه ست عشرة سنة[5]. ثم جاء من بعده النعمان بــن الايهم بن مارية وكان ملكه إحدى وعشرين سنة[6]. ثم ملك من بعده أخوه، الحارث بــن الأيهم، وكان ملكه اثنين وعشرين سنة وخمسة أشهر[7].

ثم ملك من بعده ابنه، النعمان بن الحارث، فأصلح صهاريج الرصافة وكان بعض ملوك لخم خربها، وكان ملكه ثماني عشرة سنة[8]. ثم ملك من بعده ابنــه، المنــذر بــن النعمان، وكان ملكه تسع عشرة سنة[9]. ثم ملك من بعده أخوه، عمرو بن النعمان، وكان ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة شهور[10].

ثم ملك من بعده أخوه، حجر بن النعمان، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة[11]. ثم ملك ملك من بعده ابنه. الحارث بن حجر، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة[12]. ثم ملك من بعده

---

(1) النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٥.

(2) **القبرين**: يعني قبر أبيه وجده الحارث الأعرج والحارث الأكبر.

(3) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٣.

(4) **صفين**: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات، وقعت فيه الوقعة المشهورة بــين علــي معاويــة، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة صفين، ج٥، ص ١٩٥.

(5) الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٣.

(6) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(7) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(8) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(9) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(10) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(11) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(12) المصدر نفسه، ص ٩٤.

ابنه، جبلة بن الحارث، وكان ملكه سبع عشرة سنة وشهراً واحداً[١]. ثم ملك من بعده ابنه، ابنه، الحارث بن جبلة، ويعرف أيضاً بالحارث بن أبي شمر، سكن الجابية وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر[٢].

ثم ملك من بعده ابنه، النعمان بن الحارث، ويكنى أبا كرب، ولقبة قطام، وبكاه النابغة الذبياني [٣]:

بَكَى حَارِثُ الَجْولانِ مِنْ هُلْكِ رَبِّــهِ وحَوْرانُ مِنْهُ خَاشِعٌ مُتَضــائِلُ [٤]

وكان ملكه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثة اشهر[٥]. ثم ملك من بعده، الأيهم بن جبلة، ابن الحارث بن أبي شمر، وهو صاحب تدمر المدينة المشهورة، وقصر بركة وذات إنمار والموقع بين القبرين[٦]: جسر[٧] وعاملة[٨]، وفي ذلك يقول النابغة الذبياني [٩]:

ضَلَّتْ حُلُــومُهُمُ عَــنْهُمْ وَغَــرَّهُمُ سَنَّ الْمُعَيْدِيِّ في رَعْــي وتَعْزِيــبِ

---

[١] المصدر نفسه، ص ٩٤.

[٢] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ص ٩٤.

[٣] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٢٠.

[٤] **الجولان**: هو الجبل الذي يعلو بحيرة طبريا ويمتد إلى منابع نهر الأردن في الجنوب من سوريا. **حوران**: هو السهل بين جبل العرب والجولان جنوب سوريا.

[٥] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ص ٩٥.

[٦] **المقصود**: الموقع الحرب بين القبيلتين، وفي الكلمة (القبرين) تصحيف أخل بالعبادة كما يرى ابن سعيد، **نشوة الطرب**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٠٤.

[٧] **جسر**: قبيلة جسر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار، المصدر السابق، ج١ ، ص ٢٠٤.

[٨] **عاملة**: قبيلة تنتسب إلى عاملة، واسمه الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن اذربن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٤.

[٩] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدرسابق، ص ٨٩.

وكان ملكه سبعاً وعشرين سنة وشهرين[١]. ثم ملكه من بعده أخوه، المنـــذر بـــن جبلة، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة[٢]. ثم ملك من بعده أخوه، شراحيل بن جبلـــة، وكـــان ملكه خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر[٣].

ثم ملك من بعده أخوه، عمرو بن جبلة، وكان ملكه عشر سنين وشهرين[٤]. ثم ملك من بعده ابن أخيه، جبلة بن الحارث بن جبلة بن أبي شمر أربع سنين[٥]. ثم ملك من بعده، جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث بن مارية وهو آخر ملوك غَسَّان، وكان ملكه ثلاث سنين، وهو الذي أسلم ثم عاد وتنصر ولجأ إلى الرّوم[٦].

وهكذا يكون عدد ملوك بني جفنة من آل غَسَّان إثنين وثلاثين ملكاً، ولبثـــوا فـــي ملكهم مدة ستماية وست عشرة سنة[٧].

---

[١] الأصفهاني، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، مصدر سابق، ص ٩٥.

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٥.

[٣] المصدر نفسه، ص٩٥.

[٤] المصدر نفسه، ص ٩٥.

[٥] المصدر نفسه، ص ٩٥.

[٦] المصدر نفسه، ص ٩٦.

[٧] المصدر نفسه، ص ٩٦.

الفصل الثاني

صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي

المطلب الأول: المنحى الاجتماعي والحضاري

أولاً: صورة المناذرة

ثانياً: صورة الغساسنة

المطلب الثاني: المنحى السياسي والعسكري

أولاً: صورة المناذرة

ثانياً: صورة الغساسنة

المطلب الأول: المنحى الاجتماعي والحضاري

تمهيد:

لا بد لنا قبل الحديث عن الحياة الاجتماعية والحضارية للمناذرة والغساسنة موضوع بحثنا، من التطرق إلى صورة الحياة العربية، والتي هي انعكاس للطبيعة القاسية التي فرضت نظماً اجتماعيةً وحضاريةً وسياسيةً خاصة. فالمناخ القاسي أجبر السكان على خوض صراعين شديدين: بين الإنسان والطبيعة من جهة، وبين الإنسان والإنسان من جهة أخرى. هذا الصراع كان النقطة الأساسية التي شكلت حياة ساكني تلك المناطق الاجتماعية والسياسية.

فالحياة في الجزيرة العربية مزدوجة تقسم إلى قسمين رئيسيين: بدو رحل وحضر مقيمين، فالمناطق التي تجود عليها الطبيعة بالمطر والزرع مناطق استقرار وتحضر، والمناطق الأخرى مناطق صحراوية لا تتفق مع الحياة المستقرة وإنما يحتاج سكانها إلى النقلة والرحلة كلما وجد الأرض التي تصلح للرعي والإنبات ليذهب إليها سعياً للرعي. فالرغبة في حفظ الحياة بين هؤلاء البدو ومصالحهم الشخصية كانت تدفعهم إلى أن يغتصبوا من جيرانهم الذين يعيشون في ظروف أفضل من ظروفهم، وكان يستعملون في ذلك القوة كالغارات او عن طريق المبادلات السلمية [١].

وفي هذا المعنى يقول معاوية بن مالك [٢] إن قومه يتتبعون مساقط الغيث والعشب الذي يتلوها ولو كنت المساقط في أرض الآخرين ذوي بأس وقوة [٣]:

إِذَا سَقَطَ السَماءُ بِأَرضِ قَومٍ رَعيناهُ وإِنَّ كَانوا غِضَابا

---

[١] محمد زكي العشماوي، **النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- مصر، ص ١٢٥ وما بعدها.

[٢] وهو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان بن مضر شاعر معروف وفارس مشهور، وسيد شريف لقب (معود الحكماء). ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، مصدر سابق، ص ٢٧٢-٢٨٥.

[٣] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م، مادة (سما)، ج١٤، ص ٣٩٩.

أولاً: صورة المناذرة

نشأت دولة المناذرة في كنف الدولة الساسانية، فقد اصطنعتها الدولة الفارسية لتقوم بواجب الحماية، كما هي نظيرتها في الشام دولة الغساسنة. ونظراً لذلك فقد اصطبغت دولة اللخميين بصبغة الدولة الأم، فكانت كل من الدولتين ملكية وراثية، فاتخذ المناذرة الحيرة عاصمة لهم، والتي شهدت تقدماً عمرانياً وحضارياً وثقافياً لافتاً، فضربت الأمثال في عظمة قصورها، والتي تبارى الشعراء في وصفها، وأشهر هذه القصور: قصر الخورنق، وقصر السدير، والأول من بناء الملك النعمان الأول الملقب بالأعور، وهو النعمان بن أمرئ القيس المعروف بابن الشقيقة [١].

ويعد الخورنق القصر الأكثر شهرة، لما نسج من قصص حول نهاية الرجل الذي قام ببنائه، فيذكر الطبري أن رجلاً يدعى سنمار هو الذي بناه، فلما فرغ من بنائه، تعجب الناس من حسنه واتقان صنعته، فأظهر سنمار أنه قادر على بناء أعظم منه يدور مع الشمس حيثما دارت، فقال النعمان: " لا بد وأنك لتقدر على أن تبني ما هو أفضل منه ثم لم تبنه "، ثم أمر به فطرح من رأس الخورنق، وفي ذلك يقول الشاعر أبو الطمحان القيني [٢]:

جـــزاء سِـــنِمَّارِ جزاهـــا وَرَبِّهَـــا وباللاتِّ والعُـــزَّى جَـــزَاءَ المكفَّـــرِ

وما قاله عبد العزى بن أمرئ القيس الكلبي، يرسم لنا صورة واضحة للقصة بكل تفاصيلها، فيقف على الزمن الذي استغرقه سنمار لاتمام العمل، والمواد المستخدمة في البناء، وكيف اكتمل البناء وأعجب به كل من رآه، وظن سنمار أنه فاز بالمودة والقرب من الملك، ولكن النهاية كانت أقسى من أن يتصورها أحد يقول [٣]:

---

[١] البلاذري، **فتوح البلدان**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٥٢.

[٢] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٠٥. ابن سعيد الأندلسي، **نشوة الطرب**، مصدر سابق، ج١، ص٢٧٣.

[٣] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٠٥.

جَزَانِي جَزاهُ اللُـــه شَـــرَّ جَزَائـــه جَـــزَاءَ سِـــنِمّارٍ وَمَـــا كَـــانَ ذَا ذَنْـــبِ

سِوَى رَصَّهُ البنيانَ عِشْرِينَ حِجَّـــةً يُعَلِّـــي عليـــه بالقرَاميـــدِ والسَّكْـــــبِ

فَلَمَّا رَأى البُنْـــــيَانَ تَـــمَّ سُـــمُوقُهُ وَآضَ كمِثْلِ الطوْدِ ذي البَاذِخِ الصَّـــعبِ

فَأَتْهَمَهُ مِنْ بَعْدِ حَـــرْسٍ وحِقْـــــبَةٍ وَقدْ هَرَّه أهْـــلُ المَشَارِق والـــغَـــــرْبِ

وَظَنَّ سِنِمَّارُ بِـــهِ كـــــلَّ حَـــــبْرَةٍ وفَـــــازَ لدَيْـــه بالـــمَـــوَدَّةِ والقُـــرْبِ

فَقَالَ: اقذِفوا بالعِلْجِ مِنْ فَوْق بُرْجِهِ فهذا لَعَمْرُ اللهِ مِنْ أَعْـــجَبِ الخَطْـــبِ

وكل ما أردناه من إيراد قصة بناء القصر، وما ذكر في ذلك من الشـــعر هـــو لقـــاء الضوء على عظمة البنيان التي تدل على مبلغ الاهتمام والعناية بفن العمـــارة لـــدى ملـــوك الحيرة، ولتدليل على أن الشعر هو المرآة التي تعكس لنا حضارة تلك الحقبة بمجمل تفاصيلها.

ويلي الخورنق في الشهرة، قصر السدير، وقد يقترنان معاً، فهذا المنخـــل اليشـــكري يذكرهما معاً [1]:

فـــــإذا انتَشَـــــيْتُ فـــــإِنَّني رَبُّ الخَوْرنَـــــق والسَّـــــدير

وإِذا صَـــــحَوْتُ فـــــإِنَّني رَبُّ الشُّـــــوَيْهةِ والبَعِيـــــرِ

[1] المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، مصدر سابق، ص٥٢٩.

ومن الذين أشاروا إلى هذين القصرين: الخورنق والسدير والمتلمس الضبعي، ولكنه ينسبهما لعمرو بن هند، يقول [1]:

أَلَكَ السَّدِيرُ وَبَارِقُ ... ومُبايضُ، ولَكَ الخُوَرْنَقْ [2]

ومن قصور الحيرة التي نالت شهرة كبيرة، فذكرها الشعراء، قصر سندان وتقع بين الحيرة والأبلة، يقول الأسود بن يعفر النهشلي [3]:

ماذا أؤمل بعد آل مُحرِّق ... تَركوا منازلَهم وبعد إياد

أهل الخَورنق والسَّدير وبارق ... والقَصر ذي الشُّرفات منِ سنْداد

هذا فيما يخص مساكنهم، أما بالنسبة لاتجاههم الديني، فقد كان أحد مظاهر الحياة الاجتماعية والحضارية، حيث كان لتنصر المناذرة أثر كبير في تنشيط حركة بناء الأديرة والكنائس، وقد حفظ لنا الشعر أسماء بعض هذه الأديرة. ومنها دير اللج والذي يقول فيه الشاعر [4]:

سَقَى اللهَ دير اللُّجِّ غَيْثًا فإنه ... على بعده إليَّ حبيبْ

قريبٌ إلى قلبْي، بعيدٌ مَحلَّهُ ... وكم من بعيد الدار وهو قريبُ

---

[1] المتلمس الضبعي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٦.

[2] **بارق:** ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية إلى البصرة، وهو من أعمال الكوفة. **مبايض:** صفة الجزيرة العربية.

[3] الأسود بن يعفر، **الديوان**، تحقيق: نوري القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د.ت، ص ص ٢٦-٢٧، ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص٦٤٧.

[4] البكري، **معجم ما استعجم**، مصدر سابق، ص ٥٩٥.

يُهَـــيِّج ذِكـــراه غـــزال يَحُلُّـــهُ أَغَـــنُ سَـــحُورُ المُقْلَتَـــينِ رَبيـــبُ

إذا رَجَّع الإنجيـــلَ واهتـــزَّ مائـــداً تـــذكرّ محـــزون الفـــؤادِ غريـــبُ

وهاج لقلبي عند ترجيـــعِ صَـــوْتهِ بـــلا بـــلُ أســـقامٍ بـــه ووجيـــبُ

وفي هذا يقول البكري:

"كان النعمان يركب في كل أحد إليه وفي كل عيد ومعه أهل بيتـــه خاصـــة مـــن آل المـــنذر عليهم حلل الديباج المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب، وفي أوســـاطهم الزنـــانير المفصصة بالجوهر، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبان، وإذا قضوا صـــلاتهم انصـــرفوا إلـــى مستشرفة على النجف، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقيـــة يومـــه، وخلـــع ووهـــب وحمـــل ووصل"[1].

يشير النص السابق إلى اهتمام ملوك المناذرة بالذهاب إلى بيوت العبادة، وهم في أبهى حللهم، مرتدين الملابس المذهبة المصنوعة من أفخر أنواع الأقمشة، وفي ذلك تدليل على مبلغ ما وصلوه من ترف الحياة.

وقد وصفت الحيرة بالبياض، فقالوا الحيرة البيضاء، تعبيراً عـــن حســـن عمارتهـــا، ووضوح هذا اللون على سائر أبنيتها [2]. كما وصفت لامتدادها بالحيرة الروحاء، وفيها قـــال عاصم بن عمرو [3]:

صبحنا الحيـــرة الرَّوْحـــاءَ خـــيلاً ورَجلاًفـــوق أثبـــاج الركـــاب

حَضـــرنا فـــي نواحيهـــا قصـــوراً مشـــرّفة كأضـــراس الكـــلاب

---

[1] البكري، **معجم ما استعجم**، مصدر سابق، ص ٥٩٦.

[2] عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب، في عصر الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٣١٠.

[3] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، مادة الحيرة، ج٢، ص ٢٠٢

ثانياً: صورة الغساسنة

عرفنا أن الغساسنة نزحوا من اليمن بعد انهيار سد مأرب، واستقروا محل سليح، ويعدهم زكي عشماوي أول عرب أسسوا ممكلة في الشام. ومن خلال استقرائنا للشعر الذي قيل في الغساسنة لاحظنا أن هذا الشعر يعد صورة حية لما دار في بلاط الغساسنة من أحداث سياسية وعسكرية، وحياة اجتماعية وحضارية، ومن خلال عرضنا للشعر الذي قيل فيهم ستتوضح لنا هذه الصورة.

أقام الغساسنة مملكتهم بالقرب من النفوذ البيزنطي، نظراً للتبعية القائمة بين الدولتين، لذا كان المكان المناسب لهذه الدولة بلاد الشام [١]، فقد اتخذوا من الجابية في منطقة "الجولان" عاصمة لدوتهم، وقد ذكرها النابغة عندما رثى الحارث الغساني [٢]:

بَكَى حَارِثُ الَجْولانِ مِنْ هُلْكِ رَبِّــهِ وحَوْرانُ مِنْــهُ خَاشِــعٌ مُتَضــائِلُ

ويبدو في بيت آخر للنابغة أن الغساسنة استقروا في منطقة أخرى قبل الجولان، واتخذوا مركزاً لهم يدعى جلق، يقول [٣]:

لَئِنْ كَــانَ للقَبْــرَيْنِ قَبْــرٍ بِجِلِّــقٍ وَقَبْرٍ بصَيْداء الَّتــي عِنْــدَ حَــارِبِ

غير أن ذكر النابغة للجولان في رثائه للنعمان بن الحارث الغساني، يؤكد أن الغساسنة وإن كانوا استقروا بجلق قبل الجولان إلا أنهم اتخذوا من الأخيرة عاصمة لدوتهم. يقول النابغة في ذلك [٤]:

---

[١] زكي عشماوي، **النابغة الذبياني**، مرجع سابق، ص٢٣.

[٢] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٢٠.

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٩.

[٤] المصدر نفسه، ص١١٩.

سَقَى الْغَيْثُ قَبْراً بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِـمِ ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِـلٌ ونوافِـلُ[١]

وَغُيِّبَ فِيـهِ يَـوْمَ رَاحُـوا بِخَيْـرِهِمْ أَبُو حُجُرٍ ذَاكَ الْمَلِيـكَ الْحَلاَحِـلُ[٢]

وَآبَ مُضِـلَّوهُ بِعَـيْنٍ جَلِيَّـةٍ وَغُودِرَ بالْجَوْلاَنِ حَـزْمٌ وَنَائِـلُ[٣]

أما فيما يتعلق بلغتهم وديانتهم، فيشير فيليب حتي إلى أنهم أتقنوا الآرمية إلى جانب العربية، واعتنقوا النصرانية، يقول: " اتخذوا لغة الشام الآرامية لغة لهم، ومع ذلك لم يهجروا لسانهم العربي القومي، وكانوا كبقية القبائل العربية في أرض الهلال الخصيب مزدوجي اللغة، وفي نهاية القرن الخامس دخلوا ضمن دائرة النفوذ البيزنطي، واتخذوا دولة حاجزة، تصد تيار الهجوم من قبائل البدو، وقد اعتنق الغساسنة مذهباً من مذاهب المسيحية " [٤].

ولي على كلامه بعض التحفظ، فلو كان الغساسنة وبقية القبائل العربية مزدوجي اللغة كما قال لظهر ذلك في اشعارهم، فمن وجهة نظري مهما حاولوا الحفاظ على لسانهم العربي، لا بد من تسرب بعض الألفاظ إلى اشعارهم، ونلحظ ذلك في شعرنا الحديث فقد دخلت إليه بعض الألفاظ الأعجمية – وإن كانت معربة – بسبب اندماجنا بالحضارات الأخرى.

وفي شعر النابغة إشارة إلى أنهم ربما اعتنقوا المسيحية، يقول [٥]:

مَخَـافَتُهُمْ ذَاتُ الإِلَـهِ ودِيـنُهُمْ قَويمٌ فَما يَرْجُونَ غَيْـرَ العَواقِـبِ

---

[١] **بصرى وجاسم:** اسماء مواضع.

[٢] **الحلاحل:** السيد.

[٣] **مضلوه:** دافنوه. **بعين جلية:** بوضوح، من أمر جلي أي واضح.

[٤] فيليب حتي، **تاريخ العرب**، مرجع سابق، مجلد ١، ص ٩٢.

[٥] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٦.

ويذكر لنا حسان في غير قصيدة الأماكن التي تمركز فيها الغساسنة وهو بهذا التعداد غير المقصود، يصور جانباً من حياتهم الاجتماعية والحضارية، فكثرة المدن والديار تدل على مبلغ ما وصلته دولة الغساسنة من اتساع وتمدن، فيعدد حسان منازلهم في قصيدة قالها عندما منعه الملك عمرو بن الحارث من الدخول عليه لوجود النابغة وعلقمة الفحل، فيهدده بهجاء اليمن كلها، فيسمح له الملك بالدخول، ولكنه ينصحه بالرجوع إلى بلده، ويعده أن يبعث إليه بصلة سنية، بعدما أظهر عزوفه عن استنشاده خيفة أن يغلبه النابغة وعلقمة فيفضحاه، ولكن حسان يأبى إلا الإنشاد، فيأذن له، فينشده [1]:

أَسَألتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بينَ الجوابي فالبُضَيعِ، فَحَوْمَلِ

فالمَرْجِ، مرْجِ الصُّفَّرينِ، فجاسِمٍ، فَدِيارِ سَلْمى، دُرَّساً لَمْ تُحْلَلِ

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها جبلة بن الأيهم يعدد أسماء منازل أخرى للغساسنة، مما يشير كما أسلفنا إلى اتساع رقعة حكمهم، يقول [2]:

لِمَنِ الدَّارُ أَوْحشَتْ بمَعَانِ بَيْنُ أَعلى اليرْمُوكِ فالخَمَّان

فالقُرَيّاتِ مِنْ بِلاسَ فَدارَ يّا، فسَكّاء، فالقُصورِ الدّوانَي [3]

فَقفا جاسِمٍ، فأوْدِيَةَ الصُّـ ـفَّرِ، مَغْنَى قَبَائِلٍ وَهِجَانِ [4]

ويعد الاستقرار السبب في نشوء الممالك، فالغساسنة عمال الروم، يقومون بواجب الحماية، وعليه فقد كان الروم يغدقون الأموال عليهم، فنعموا بالثراء النسبي، وعرفوا نعيم

---

[1] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٣.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

[3] معان واليرموك والخمان وجميع المواضع المذكورة التي كانت ملك آل جفنة.

[4] **المغنى**: المنزل. **الهجان**: جمع هجان (بالفتح): الرجل الأبيض ذو الحسب الرفيع.

الاستقرار، فنشأت الدولة وقام الملك، وطبقاً لنظرية التابع والمتبوع، فقد اقتفى الغساسنة آثار أسيادهم، فأنشئت البيوت والقصور والحمامات العامة والقناطر والمسارح والكنائس، ووجود الكنائس يعزز ما قصده النابغة من قوامة الدين، حيث يقول [١]:

مَخَافَتُهُمْ ذَاتُ الإِلـــه وديـــنُهمْ قَويمٌ، فما يَرجونَ غَيْرَ العَواقِبِ[٢]

رِقَاقُ النِّعَالِ، طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُم، يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ[٣]

تُحَيِّيهم بِيضُ الْولاَئِدِ بَيْنُهُم وأَكْسِيَةُ الإِضْرِيجِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ[٤]

يَصُونُونَ أَجْسَاداً، طَوِيلا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ الْمَنَاكِبِ[٥]

فهم لقوامة دينهم، يخافون الله ويرجون عقابة، نعالهم رقيقة، وفي ذلك إشارة إلى وضعهم الاجتماعي فهم من طبقات المجتمع العليا التي تتطيب بأفخر أنواع الطيب وتلبس أفخر أنواع الثياب، كما أنهم يعتنون بالمناسبات، فيقيمون الأعياد ومن هذه الأعياد يوم السباسب، ويذكر محمد العشماوي أنه يوم الشعانين أحد أيام النصارى [٦]. ويزيد النابغة في تصوير حياتهم المترفة فيذكر الإماء البيض التي تقوم على خدمتهم، وحمايتهم لأجسادهم التي تنعمت منذ القدم بثياب طويلة الأكمام ذات مناكب خضر.

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٦.

[٢] **ذات الإله:** كتاب الله يريد كتابهم الأنجيل حيث كانو نصارى. **قويم:** مستقيم.

[٣] **رقاق النعال:** كناية عن أنهم ليسوا بأصحاب مشي ولا تعب لأنهم ملوك. **السباسب:** عيد كان لهم في الجاهلية.

[٤] **بيض الولائد:** الإماء الفواره.**الأضريج:** الخز الأحمر.**المشاجب:** الثياب المصونة.

[٥] **خالصة الأردان:** دات لون واحد، والمناكب منها خضر، وهو لباس كان يلبسه أهل الشام. **الأردان:** الأكمة.

[٦] محمد العشماوي، النابغة الذبياني، مرجع سابق، ص٢٨.

وها هو حسان بن ثابت في مدحه لجبلة بن الأيهم يعزز الرأي القائل بـــأنهم اعتنقـــوا المسيحية، حيث يصف استعدادتهم للاحتفال بعيد الفصح، من نظم للأكاليل وجني للزعفـــران، يقول [١]:

قَدْ دَنا الفِصْحُ، فالوَلائَـــدُ ينَظِمـــــ ـــــنَ سِـــرَاعاً أكِلَّـــةَ المَرْجـــانِ

يجتَنينَ الجَادِيَّ فـــي نقُـــبِ الرّيـــــ ـــــطِ، عليهـــا مجَاسِـــدُ الكَتَّـــانِ [٢]

وبما تحمله هذه الأبيات من دلالة على دينهم، تدل أيضاً على وضـــعهم الاجتمـــاعي ومقامهم الحضاري لما يصفه من لبسهم للثياب الناعمة، والتي تشير إلـــى تـــرفهم حتـــى أن ولائدهم يتنعمن بالحلي ويطلين بالزعفران ولسن يجتنبن الصمغ الذي يخرج من الحنظل فيتابع قائلاً [٣]:

لَـــمْ يُعلِّلْـــنَ بالمغـــافِرِ والصّمْـــــ ـــغِ ولا نَقْـــفِ حَنْظَـــلِ الشـــريانِ [٤]

أما فيما يخص مساكنهم، فقد اتخذوا القصور منازل لهم، وما يؤكد ذلك مـــا وصـــفه حسان من مجالس للخمر تعقد فيها، يقول [٥]:

أَوْلادُ جَفْنَـــةَ حَـــوْلَ قَبْـــرِ أَبِـــيهِمِ قَبْرِ ابْنِ ماريَـــةَ الكَـــريمِ، المُفْضِـــلِ

يُغشَوْنَ، حتى مـــا تَهِـــرُّ كِلابُهُـــمْ لا يَسْـــألونَ عـــنِ السَّـــوَادِ المُقْبِـــلِ

---

[١] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٢٥.

[٢] **الجادي**: الزعفران. **النقب**: جمع نقبة، قوب كالازرار. **الريط**: جمع ريطة، الثياب الناعمة. **المجاسد**: جمع مجسد، القميص.

[٣] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٢٥.

[٤] **المغافر**: واحدها المغفور، صمغ يخرج من نبتة الحنظل. **النقف**: الكسر.

[٥] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٤.

يَسْقوْنَ مِنْ ورد البَــريصَ علــيهمِ بَرَدَى يُصَفَّقُ بــالرَّحِيق السَّلسَــلِ[١]

يُسْقوْنَ دِرْياق الرَّحِيق، ولَمْ تكــنْ تُدْعَى ولائِــدُهُم لَنقــفِ الحَنْظَــلِ[٢]

فحسان هنا يمدحهم بالكرم، وهي أهم صفة يمدح فيها العرب، فكلابهم تأنس بالوافدين عليهم. فلا تهر بوجههم – وهذه إشارة إلى كثرة زوارهم – كما أنهم في سعة من العيش فهم لا يضيقون بمن ينزل بهم مهما كثر عددهم، وأظنه يشبه الخمر لكثرتها وعــذوبتها بنهــري البريص وبردى. وهذه الخمرة في نظره بعذوبتها دواء شافٍ. وهو بعد هذا المدح والوصــف ينتقل لذكر قصر الدومة والحانوت الذي يشرب به الخمر كتدليل منه علــى محــل ســكناهم (القصور) يقول [٣]:

ولَقَــدْ يَرَانــي مُوعِــدِيّ كــأَنَّني في قَصْرِ دومَةَ، أوْ سوَاءَ الهيْكــلِ[٤]

وَلَقَدْ شرِبْتُ الخمرَ فــي حَانوتِهــا صَهباءَ، صَــافيَةً، كطَعــم الفُلفُــلِ[٥]

يَسْــعَى علــيَّ بِكأسِــها مُتَنطِّــفٌ، فَيَعُلَّني مِنهــا، ولَــوْ لَــمْ أَنْهَــلِ[٦]

ففي البيت الأول إشارة إلى قصر دومة الجندل، وهي ما بين الشام والحجاز كمــا أن ذكره للهيكل وعنى به المعبد إشارة إلى تنصر الغساسنة.

---

[١] **البريص:** نهر بأرض دمشق. **بردى:** نهر يمر وسط الشام. **الرحيق:** الخمر. **السلسل:** السهلة.

[٢] **الدرياق:** الخمر الخالصة ماثلها بالدرياق أي الشافي

[٣] حسان بن ثابت، مصدر سابق، ص ١٦٤-١٦٥.

[٤] **موعدي:** أراد أعداءه الذين يتوعدونه. **دومة:** أي دومة الجندل بين الشام والحجاز. **سواء الهيكل:** وسطه والهيكل معبد للنصارى.

[٥] **كطعم الفلفل:** أي لاذع كالفلفل.

[٦] **المتنطف:** لابس النطفة وهي القرط. **يعلني:** يسقيني مرة بعد أخرى.

ومن الجوانب الحضارية التي صورها لنا الشعر الذي قيل في الغساسنة اهتمامهم بالجانب الثقافي- واقصد به استقطابهم للشعراء- فقد شجع ملوك الغساسنة الشعراء، وكانوا يكرمونهم ويجزلون لهم العطاء بدليل كثرة الشعراء الذين ترددوا على بلاطهم، فقد اجتمع في بلاطهم – أحياناً- أكثر من شاعر، ومن ذلك ما ورد في ديوان حسان في اجتماعه مع النابغة الذبياني وعلقمة الفحل عند الملك عمرو بن الحارث [1].

وعلى هذا يكون الشعر الغساني الوسيلة التي صورت لنا المحنى الاجتماعي والحضاري من حياة تلك الإمارة، إلى جانب كونه السجل التاريخي لتلك الحقبة، ولولاه لما استطاع نولدكه وغيره من المؤرخين تسجيل تاريخ هذه الدولة أو غيرها. ومن هنا تنبع أهمية الشعر في كونه سجلاً أدبياً وتاريخياً لحياة الشعوب التي سبقت عصر التدوين.

وانطلاقاً من هذه الرؤية سيلقي المطلب الثاني الضوء على المنحى السياسي والعسكري، حيث سيوضح لنا الشعر كيف بد ت صورتهم الحربية وسياستهم المبنية على مبدأ السيادة للأقوى، متجاهلين كل الاعتبارات القبلية التي حكمت ذاك العصر مما أدى إلى الثورة والتمرد في بعض الأحيان، وأرى أن ذلك عائد لطبيعة الحياة الجاهلية التي لم تبن على هذا المبدأ. كما أن قوة القبائل مهما عظمت تبقى قاصرة عن الوقوف في وجه دولة تعتمد التنظيم العسكري والفيالق الحربية وإن وجدت بعض الاستثناءات.

---

[1] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٢.

المطلب الثاني: المنحى السياسي والعسكري

عرفنا من الفصل السابق أن إمارتي المناذرة والغساسنة وجدتا بفعل السياسة الخارجية التي نهجتها دولتي الروم والفرس من اصطناع حلفاء من القبائل العربية القوية، ليقوموا بواجب الحماية لحدودهما من غارات القبائل الأخرى. وتبعاً لذلك اتسعت رقعة الدولتين، فشملت مناطق شاسعة من البلاد العربية، ونتيجة لهذا الامتداد كان لا بد من وجود مناوشات واعتداءات على طول هذه الحدود، فبرزت الناحية السياسية والعسكرية في شعر شعراء تلك الحقبة، حيث صوروا لنا ما دار من أحداث. وما يعنينا في هذا البحث تجسيد الشعر ليكون صورة واضحة للسياسة التي انتهجتها – كلا الدولتين – لاخضاع القبائل وبسط نفوذها وسطوتها.

فالناظر في الشعر الجاهلي بجميع مواضعه– نظرةً سطحيةً – يعتقد أن الشاعر نظم هذه القصائد لأغراض شخصية أو قبلية، ولكن عين الباحث فقط ترى أن الشاعر إنما أراد من شعره تسجيل صورة واضحة لحياة الشعوب في ذاك الزمان. وأظهر ما نجده في الشعر المتعلق بالمناذرة والغساسنة اتخاذهم القوة وسيلة لفرض سلطانهم على القبائل.

اولاً: صورة المناذرة

فها هو المثقب العبدي في مدحه للنعمان بن المنذر يذكر قوته ومقدرته فهو قادر على من خالفه، وليس للقبائل العربية مهما كانت بعيدة ضاربة في الأرض ملجأ منه، فإنها تخشاه وتهابه لما له من سطوة وجبروت، فهو بهذا يمدح النعمان ويخوف القبائل منه يقول [1]:

فإنَّ أَبا قابُوسَ، عِنْدِي بَلاَؤُهُ جَزَاءَ بنُعْمَى لا يَحِلُّ كُنُودُهَا

وَجَدْتُ زِنَادَ الصَّالِحِينَ نَمْيَنَهُ قَدِيماً، كَمَا بَذَّ النُّجُومِ سُعُودُهَا

فالشاعر يعترف بما للملك من فضل عليه، وبما اسبغه عليه من أياد بيضاء لا يستطيع جحودها ونكرانها، فهو وإن حدثته نفسه بنكرانها فإن وضوحها واشتهارها دليلان واضحان يقفان حائلاً بينه وبين مسعاه. كما كما يمتدح آباء وأجداد الملك وما تمتعوا به من عز وجاه وسلطان، فلا عجب أن يسير ممدوحه على خطى آبائه وأجداده.

فَلْو عَلِمَ اللهُ الجِبَالَ ظَلَمَنْهُ أَتَاهُ بِأَمْرَاسِ الجِبَالِ يَقُودُهَا

فإنْ تَكُ مِنَّا فِي عُمَانَ قَبِيلَة تَوَاصَتْ بإِجْنَابٍ وطَالَ عُتُودُهَا

وقَدْ أَدْرَكَتْهَا المُدْرِكَاتُ، فأَصْبَحَتْ إِلَى خَيْرِ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وُفُودُهَا

---

[1] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٠٢-١٠٥. المفضل الضبي، أبو العباس المفضل بن محمد (ت١٦٨هـ)، **المفضليات**، تحقيق: محمد أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٤، ص ١٥١.

كما يمتدح الشاعر الملك ويصور سطوته وقوته وجبروته، ويقدمه في صورة من رضي الرب عنه، فسخر قوته لإخضاع القبائل المحيطة به وبسط سيطرته ونفوذه عليها. ومن هنا نجد تلك القبائل قد أذعنت والقت بمقاليد أمورها يسوسها بما يشاء.

وحين يمدح الأعشى النعمان بن المنذر يصفه بأنه دائم التيقظ والانتباه، يبقي جيشه على درجة عالية من الأهبة والاستعداد حتى لا يغافله العدو، فهو يواصل ليله بنهاره مفكراً مدبراً أمور مملكته لا يكل ولا يفتر. يبعثه على ذلك همته العالية وسمة نفسه وتطلعه إلى المجد والعلا دائماً. وهو يعلم أن أعداءه يتربصون به وينتظرون ساعة يغفل فيها لكي ينقضوا عليه ولذلك صوره الشاعر متيقظاً منتبها[1]:

إِليكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ، كَانَ كِلاَلُهَا ... إِلى المَاجِدِ الفَرْعِ الجَوَادِ المُحَمَّدِ[2]

إِلى مَلِكٍ لا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ ... خَرُوجٍ تَرُوكٍ للفِرَاشِ المُمَهَّدِ

طَوِيلِ نِجادِ السَّيْفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ ... نِيَامَ القَطَا باللَّيْلِ في كُلِّ مَهْجَدِ[3]

فَمَا وَجَدَتْكَ الحَرْبُ إِذْ فُرَّ نابُهَا ... عَلَى الأَمْرِ نَعّاساً عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ[4]

وَلَكِنْ يَشُبَّ الحَرْبَ أَدْنَى صُلاَتِهَا ... إِذا حَرَّكُوهُ حَشَّهَا غَيْرَ مُبْرِدِ[5]

---

[1] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٢٣٧-٢٣٩.

[2] **كلالها:** ارهاقها.

[3] **القطا:** طائر في حجم الحمام. **المهجد:** الذي يسهر الليل.

[4] **فر نابها:** كشفت عن أسنانها ويعني الحرب قد اشتعلت. **المرصد:** اسم مكان من رصد أي قعد له على طريقه وراقبه.

[5] **أدنى صلاتها:** الذين يصطلون بنارها. **الحش:** الوقود.

إذا كانت هذه هي صورة المناذرة عند المدح، فكيف هي صورتهم عند الذم، نلاحظ أن الشعراء جميعاً عندما أرادو مدح الملوك من مناذرة وغساسنة لجأوا إلى تصوير القوة والسطوة والسيادة وهم لم ينأوا بذلك عن الحقيقة. فما الصورة الشعرية إلا تجسيد للواقع بأدوات فنية خاصة.

كانت سياسة المناذرة سبباً في هجائهم، فقد كانوا يحاولون بسط سيطرتهم على القبائل العربية بما تقوم عليه سياستهم من الترغيب بما يقدمونه من عون وهبات [١]، غير أن هذه السياسة لم ترق لبعض الشعراء الذين رأوا في ذلك خضوعاً وذلاً، فنظموا شعراً في التمرد والثورة على ملوك المناذرة ومن هذا الشعر ما قاله طرفة بن العبد هاجياً عمرو بن هند [٢].

فلَيْتَ لَنَا مكَانَ المَلْكِ عَمْرٍو رَغُوثاً حَولَ قُبَّتِنَا تَخُورُ [٣]

مِنْ الزَّمِراتِ أَسْبَلَ قادِماها وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُودُ

يُشَارِكُنا لَنَا رَخِلانِ فيها وَتَعْلُوها الكِباشُ فَمَا تَنُورُ [٤]

فطرفة يرسم للملك صورة بشعة قاسية تثير الاستهزاء والسخرية، وتحمل في تفاصيلها أقسى معاني الاستهانة بالملك المهجو، الذي لا يقدم خيراً لرعيتهأو لمن حوله، لدرجة أن شاة تحلب ويستفاد من لبنها خير من هذا الملك. بل إن تلك الشاة على هوان أمرها من خلال مشاركة رخليها وأنها لا تمتنع من الكباش، هي أفضل حالاً من ذلك الملك الظالم المستبد. الذي عم شره وإفساده وامتنع خيره.

---

[١] انظر: فوزي أمين، **قراءة جديدة في شعر النابغة الذبياني**، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٤٠.

[٢] طرفة بن العبد، **الديوان**، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب ولطفي السقال، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ١٠٨-١٨٠.

[٣] **الرغوث**: النعجة المرضع. **تخور**: تصوت.

[٤] **رخلان**: الأنثى من ولد الضأن. **تنور**: تنفر.

ومن الصور التي تبين لنا مدى استبداد المناذرة تلك التي رسمها لنا النابغة حين حذر قومه بني ذبيان من التربع في أقر، وهو واد مشمول بحمى النعمان بن الحارث، يمنع على الناس تربعه [١]، غير أن ذبيان تربعته وعيروا النابغة خوفه النعمان – ولكنه كان بالمناذرة عليماً– فبعد موت النعمان وجه المناذرة إلى ذبيان جيشاً فنالوا منهم، وفي ذلك يقول النابغة[٢]:

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارِ

وَقُلْتُ يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِعَدْوَةِ الضَّارِي [٣]

لاَ أَعْرِفَنْ رَبْرَباً حُوراً مَدامِعُها كَأَنَّهُنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دوَّارِ [٤]

تظهر لنا الأبيات السابقة أن المناذرة بسطوا نفوذهم على القبائل، وعلى جميع الأماكن التي نالت إعجابهم، وحرموا على الناس دخولها، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى بطشهم وجبروتهم.

ها هو عبد القيس بن خفاف البرجمي، يهجو النعمان بن المنذر، ويصفه بالظالم الجهول، الذي يجمع الجيش ويغزو به القبائل العربية، تاركاً العدو الحقيقي ويقصد به هنا الأكاسرة، يقول [٥]:

---

[١] لويس شيخو، **شعراء النصرانية قبل الإسلام**، الطبعة الرابعة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٧٦.

[٢] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٨٠–٨١.

[٣] **البراثن**: الأظفار. **الضاري**: المعتاد.

[٤] **الربرب**: القطيع من البقر. **الحور**: واضحات البياض والسواد. **دوار**: ما استدار من الرمل.

[٥] الجاحظ، أبو عثمان بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦، ج١، ص ٣٧٩.

لَعَـــنَ اللهُ ثُـــمَّ ثَنَّـــى بِلَعْـــنٍ ابن ذَا الصَّـــائغَ، الظُلُـــومَ الْجَهـــولاَ

يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الأُلُـــوفِ وَيَغْـــزُو ثُـــمَّ لا يَـــرْزَأُ الْعَـــدُوَّ فَتِـــيَلا [1]

وفي البيت الثاني يشير عبد القيس إلى كثرة الجيش، والذي قدره بالألوف وإنما قصد بقوله " يغزو" الإشارة إلى أن الحروب التي يشنها النعمان على القبائل كانت ظالمة لسببين- بحسب من أرى- الأول تفاوت القدرات القتالية، فللنعمان جيش منظم ذو عدة وعتـــاد، أمـــا القبائل فتعتمد على فرسانها من شباب القبلية القادرين على حمل الســـلاح، والثـــاني مفاجئـــة جيوش النعمان للقبيلة المراد غزوها، مما يعطي القبيلة سبباً آخر للهزيمة.

ورغم ما شاع عن المناذرة من صور البطش والقسوة والظلم التي برع الشعراء فـــي نقلها إلينا، إلا أن هنالك بعض الصور التي تحمل جانباً مغايراً لتلك الصورة النمطيـــة التـــي اعتدنا عليها. وذلك حين تغلب الجوانب الإنسانيةعلى مواقف هؤلاء الملوك، فتجعلهم يبـــدون بمظهر المحسنين ذوي الأيادي البيض، ومن ذلك ما صوره الأعشى في قصيدته التي يـــذكر فيها إيقاع المناذرة بأعدائهم يوم أوارة، وسبي نسائهم وذراريهم، وسعي رجل من بني قيس بن ثعلبة لدى المناذرة من أجل اطلاق الأسرى والسبايا[2]:

وَمِـــنَّا امْرُؤُ يَوْمَ الهَمَامَيْنِ ماجِـــدٌ، بِجَوِّ نَطَاعٍ يَوْمَ تَجْنِى جُنَاتُـــها[3]

فَـــقَالَ لَهُ: مَـــاذَا تُرِيـــدُ وَسُخْطُـــهُ عَلَى مائَةٍ قَـــدْ كَمَّلَتْهَـــا وُفَاتُـــها

---

[1] **يزرا:** ينقص. **الفتيل:** الهنة التي في شق النواة. كما وتنسب هذه الأبيات للنابغة الذبياني. انظر: **الـــديوان**، مصدر سابق، ص ١٤٢.

[2] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٣٧.

[3] **يوم الهمامين:** نفس يوم أوارة.**نطاع:** اسم موضع.

وَمِنَّا الَّذِي أَعْطَاهُ فِـــي الجَمْـــعِ رَبَّـــهُ عَلَى فَاقَـــةٍ وَلِلْمُلُـــوكِ هِبَاتُـــــهَا[١]

سَبَايا بَنِـــي شَيْـــبَانَ يَـــــوْمَ أَوَارَةٍ عَلَى النَّارِ إِذْ تَجْلَى لَهَا فَتَيَاتُهـــا[٢]

كَـــفَى قَوْمَـــهُ شَـــيْبَانَ إِنَّ عَظَيْـــــمَةً مَتَى تَأْتِهِ تُؤخَذْ لَهَا أَهْبَاتُـــــــهَا[٣]

إِذَا رَوَّحَ الـــــرَّاعِي اللِّقَـــاح مُعَجَّـــلاً وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا عَبَرَاتُـــــها[٤]

أَهَـــنَّا لَهَا أَمْوَالَنَـــا عِـــــنْدَ حَقِّـــــها وَعَزَّتْ بِهَا أَعرَاضُـــنا لاَ نُفَاتُهـــا[٥]

وَدَارَ حِفَاظٍ قَـــــدْ حَلَلْنَـــا مخوفـــــةً سُرَاةً قَلِيلٍ رَعْيُـــــها وبَنَاتُـــــها[٦]

وفي هذه القصيدة يذكر الأعشى يوم أوارة ولكن بمسمى آخر وهو (يوم الهمـــامين)، فيعدد صفات الشفيع بأنه رجل ماجد استطاع بذكائه أن يقنع المنذر بإطلاق سبايا ذاك اليـــوم؛ فأطلقن.

---

(١) **الفاقة:** الحاجة.

(٢) **تجلى:** جلا العروس زينها.

(٣) **أهباتها:** استعداداتها

(٤) **اللقاح:** الأبل ذوات الألبان. **معجلا:** يعجل الرواح أي العودة قبل غيوب الشمس من شـــدة البـــرد. **آفـــاق الأرض:** أقطارها. **غبراتها:** إنما تغبر الأرض من القحط.

(٥) **لا نفات أعراضنا:** من الفوت وهو الذهاب والنفاد.

(٦) **دار الحفاظ:** المقام الذي لا يقوم فيه إلا من يحافظ على شرفه وحسبه وسمعته. **سراة:** سادة.

وفي هذا اليوم قال بعض شعراء بني شيبان [١]:

سأُثْنِي على عَمْرٍو وقَيْسٍ كِلَيهْمَا ... ثَنَاءَ امْرِئٍ أَوْفَى بَنْعَمَاءَ شَاكِرِ

هُمَا أَعْتَقَا يَوْمَ الأُوَارَة سَبْيَنَا ... وقَدْ كانتِ الأَنفاسُ عنْدَ الحَنَاجِرِ

ومن الصور التي اهتم بها الشعر وحرص على إظهارها وتوثيقها ونقلها وتخليدها عبر الأيام، صورة الغدر وعدم احترام المواثيق والعهود. ومن خير الشواهد على ذلك ما قام به الملك عمرو بن هند حين غزا طيئاً وسبى نسوة منهم، رغم العهد الذي كان بينه وبينهم،وفي ذلك يقول قيس بن جروة الطائي [٢] :

إلى الملكِ الخيرِ ابنِ هندٍ تزوه ... وليس من الفوتِ الذي هو سابقه

وإن نساءً غير ما قال قائلٌ ... غنيمة سوء بينهنَّ مهارِقُهْ[٣]

فهَبْكَ ابنَ هند لم تُعِقْك ملامةٌ ... وما المرء إلاَّ عهدُهُ وَمواثُقه

وكنا أناساً خافضين بنعمةٍ ... يسيل بنا تلعُ المَلا وأَبارقه[٤]

فأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصهوةٍ ... حرامٌ علينا رملةٌ وشَقائِقُه[٥]

---

[١] الشمشاطي، علي بن محمد (ت ٣٧٧هـ)، **الأنوار ومحاسن الأشعار**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٧٨، ج١، ص ٢٢٥.

[٢] أبو الفضل إبراهيم، **أيام العرب في الجاهلية**، مرجع سابق، ص ٨٤.

[٣] **مهارقه**: المهرق الصحيفة البيضاء يكتب فيها.

[٤] **خافضين**: الخفض الدعة وسعة العيش. **تلع**: جمع تلعة وهو مسيل الماء من أعلى إلى أشفل. **الملا**: جمه ملاة وهي فلاة ذات حر. **أبارقه**: جمع أبرق وهو مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين.

[٥] **صهوة**: مكان متطامن الأرض.

أكل خميس أَخطــأ العُــنْم مَـــــرةً وصادفَ حياً دائناً فهو ســائِقُـــــه

فأقسمت جهداً بالمنازل من مِنـــىً وما خبَّ في بطحائهنَّ ودرادِقُــه[1]

لئن لم تغيرِّ بعض ما قــد فعلــتم لأَنتحينَّ العظم ذو أنـــا عارقُــه[2]

وفي هذه الأبيات، يعاتب قيس الطائي الملك عمرو بن هند على غزوه لهم، وإصـــابته لنسوة من بني قومه، ويذّكره بالعهد الذي كان بينهم، إذ أنّ عمرو بن هند وفي طريق عودتـــه من اليمامة مرّ بطيئ وكان معه زُرارة بن عُدُس الذي غرر به ليغزوهم، فذّكره عمرو بن هند بالعهد الذي كان بينه وبينهم، فقال له زرارة أنّ العهد لم يكتب لهم كلهم، ويبدو أن العـــداوة التي كانت قائمة بين طيء وتميم، حدت بزرارة لتحريض الملك وإغرائه بغزو طيء والإيقاع بهم. دون اعتبار للعهد المبرم بين الجانبين، فقد أعمت الرغبة فـــي الانتقـــام بصـــيرة زرارة وجعلته يشير على الملك بذلك الرأي – وقد يكون لمثل هذه الحوادث أثر في تغير ولاء بعض القبائل وتحولها لمحالفة أطراف أخرى قد تكون معادية للحليف الأول، وهذا ما لمسناه من قول جروة.

---

[1] **خبّ**: نقل أيامنه وأياسره جميعا في العدو. **درارق**: جمع دردق وهو الصغير من كل شيء.

[2] **لأنتحين**: لأقصدن. **ذو أنا عارقه**: الذي لا أصل له في الكرم.

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند حلف ليقتلنه، فبلغ قيس وعيده، فقال [١]:

مَنْ مَبلغٌ عَمرو بن هنـــدٍ رســـالةً إذا استحقبتُهْا العيسُ تُنْضَى من البُعْدِ[٢]

أيوعدني والرملُ بينـــي وبيَـــــنه؟ تبيَّنْ روُيداً ما أمامةُ مـــــن هـــنـــــدِ

ومن أجإٍ حـــولي رعـــانٌ كـــــأنها قنابلٌ خيلٍ من كُمَيْـــتٍ ومـــــن وَرْدِ[٣]

غدرت بأمر أنت كنـــت اجتـــذبْتنا إليهِ وشـــرُّ الشـــيمةِ الغـــدرُ بالعهـــدِ

وهنا يعود قيس ليذكر عمرو بن هند بأنه هو من غدر بالعهد الذي كان بينهم، ويظهر عدم مبالاته بوعيد الملك، وعدم خوفه منه، لأنه قد تحصن بجبل أجأ المحروس بكتائب الخيل، كما أن بعد المسافة بين موطن طيء وبلاد الملكيشكل عائقاً في وجه الملك للوصول إلى ديار طيء. ويعيره بأنه كان هو البادئ بالغدرونقض العهد.

وتظهر هذه الأبيات بجلاء جانباً مهماً من حقيقة العلاقة التي كانت تسود بين المناذرة والقبائل العربية المجاورة؛ فرغم ما يمتاز به المناذرة من قوة وعدد وبطش ومقدرة في مقابل قوة القبيلة الواحدة، وهو الأمر الذي يظهر معه عدم التكافوء بين القوتين، رغـــم ذلـــك فـــإن القبائل لم تكن ترضخ وتستكين، وإنما كانت تقف في وجه العسف والظلم وتحاول مقاومته بكل ما أوتيت.

ومن مظاهر القسوة والاستبداد والبطش والتعسف التي أبرزها الشعر فـــي صـــورة المناذرة واقعة إحراق عمرو بن هند بني مالك بن حنظلة، بعدما كان قد أهانهم وقتـــل عـــدداً كبيراً منهم، حتى عيرهم بذلك العرب، ومن ذلك قول لقيط بن زرارة التميمي [٤]:

---

[١] الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢٢، ص ١٨٩.

[٢] **استحقبت**: ادخر. **تنضى**: تصبح هزيلة متعبة.

[٣] **أجأ**: جبل من جبال طيئ. **رعان**: جمع رعن هو أنف الجبل الشامخ. **قنابل**: أجسام كبيرة.

[٤] الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢٢، ص ١٩٣.

أمَــنْ دمنـــة أَقفــرتْ بالجنـــابِ إلى السفحِ بين المَلا فالهضـــابِ[١]

بكيـــــت لعرفـــــان آياتهـــــا وهاج لك الشوقَ نعــبُ الغــرابِ[٢]

فـــأَبلغْ لـــديكَ بنـــي مالـــكٍ مغلغلـــةً وســـراةَ الرَّبـــابِ[٣]

فـــإن امـــرأً أنـــتمُ حولَـــه تحفّـــون قُبَّتَـــه بالقبـــابِ[٤]

يهـــين سَـــراتكم عامـــداً ويقـــتلكم مثـــل قَتْـــلِ الكِـــلابِ

فلـــو كُنـــتم إبـــلاً أسْـــحَلَتْ لقـــد نزعـــتْ للميـــاهِ العـــذِابِ

لعمـــرُ أبيـــك أبـــي الخيـــر مـــا أردت بقـــتلهم مـــن صـــوابِ

ولا نعمـــةً أنَّ خيـــرَ الملـــو ك أَفضـــلُهم نعمـــةً فـــي الرّقـــابِ

فقد عيرهم الشاعر بما أحدثه الملك فيهم من مهانة وقتل رغم إخلاصهم له وحرصهم على خدمته، كما يستفز حميتهم وكأنه يستثيرهم ويحرضهم على النهوض ومجابهة الملك.

أما القصة المشهورة عن طرفة وخاله المتلمس مع الملك عمرو بن هند، فإنها تظهـر المدى الذي بلغته قسوة الملك وطغيانه وتجبره واستهانته بأرواح الناس وعدم اكتراثه بالقبائل التي ينتمون إليها حتى لقب بـ مضرط الحجارة لبطشه وشدته[٥]،وهي قصة مشهورة لا أرى

---

[١] **الملا:** الفلوات.

[٢] **نعب الغراب:** صوته.

[٣] **بنو مالك والرباب:** من تميم. **مغلغلة:** رسالة

[٤] **تحفون:** تحيطون.

[٥] ابن قتيبة، **المعارف**، مصدر سابق، ص ٦٤٨.

داعياً للخوض فيها تجنباً للإطالة، لكن الذي أود الإشارة إليه هو السبب الـذي دعـا الملـك لإصدار الأمر بقتل طرفة وخاله، وذلك أن طرفة قال أبياتاً يذكر فيها أخت الملك [١]:

أَلاَ يـــا بـــأبي الـــرَّيم الَّـــــ ـــــذي يَبُـــرقُ شَـــنْفَاهُ [٢]

فَقَلبَـــــي مِنْـــــهُ مَتْبـــــوُلٌ وَعَينْـــــي ثَـــــمَّ تَرْعَـــــاهُ

يَمينـــــي سَـــــبَقَتْ مِنِّـــــي بـــــأَنَّي لَسْـــــتُ أَنْسَـــــاهُ

ولَـــــولا المَلِـــــكُ العَـــــالي لَقَبَّلـــــتُ لَـــــهُ فَـــــاهُ

فطرفة يتغزل بأخت الملك دون خوف أو حياء من حضرة عمرو بن هند، فيقسم أنـه لن ينسى هذا الغزال، ولولا وجود الملك لتمكن من تقبيل فمها، فيضمر الملك الشر له، ولكنه يتحين الفرصة المواتية لذلك. فكتب لكل منهما إلى عامله بالبحرين رسالة – وأوهمهما أنه أمر لهما بجائزة، لكن في الحقيقة كانت الرسالة حكماً بالاعدام لحاملها، وكان فحوى الرسالة [٣]:

"من عمرو بن هند إلى المكعبر، إذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه، وادفنه حياً" ويشاء القدر أن يكتشف المتلمس فحوى الرسالة فيلقي بها في نهر الحيرة وفي ذلك يقول [٤]:

وأَلقَيْتُهَا في الثَّنْي مِنْ جَنْبِ كَـافِرٍ كَـذلِكَ أَقْنُـو كُـلَّ قِـطٍّ مُضَـلِّلِ [١]

رَمَيْتُ بِهَـا حَتَّـى رأَيْـتُ مِـدَادَهَا يَطُوفُ بِهَا التَّيَّارُ فـي كُـلِّ جَـدْوَلِ

---

[١] طرفة بن العبد، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٩.

[٢] **الريم**: الظبي. **الشنف**: كالقرط يعلق في أعلى الأذن.

[٣] أبو فرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢٤، ص ص ٢٣٢-٢٣٣.

[٤] المتلمس الضبعي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٨.

لكن طرفة تابع طريقه إلى البحرين فحبس ومثّل به ودفن حياً، وفيها قال [٢]:

أبا مُنذِرٍ! كَانَــتَ غُــروراً صَــحِيفَتي ... وَلَمْ أُعطِكُمْ في الطَّوعِ مالي وَلا عِرضي [٣]

أبا مُنذِرٍ! مَنْ للأُمــورِ الَّتــي تُــرى ... عَلــى مِــرَّةٍ تَحــدوُ الشَّــرائِعَ بــالنَّقضِ

أبــا مُنــذِرٍ! رُمــتَ الوَفــاءَ فَهِبْتَــهُ ... وحِدْتَ، كما حــادَ البَعيــرُ عَــنِ الــدَّحضِ

تَرَى النَّاسَ أفواجاً، إلَــى بــابِ دارِهِ ... لِــيَعْلَم حَــيٌّ مــا يَــرُدّ، ومَــا يُمضــي

فَلَستَ علــى الأحيــاءَ حَيّــاً مُمَلَّكــاً ... وَلَستَ عَلى الأمواتِ، في نُكْتَــةِ الأرضِ[٤]

يُقالُ: أبَيْتَ اللَّعْــنَ، وَاللعَّــنُ حَظُّــهُ ... وسوف – أبَيْتَ الخَيرَ- تُعْــرَفُ بِــالخَفْضِ

فَأقسمتُ عِندِ النُّصــبِ، إنّــي لَمَيِّــتٌ ... بِمتلَفَــةٍ، لَيسَــتْ بغَــربٍ، ولا خَفــضِ[٥]

كما صور المتلمس مجتمع المناذرة أقسى تصوير عندما رسم صورةً في غاية القــبح للملك عمرو بن هند، بعد أن هرب من غدره إلى الشام يقول [٦]:

إنَّ الخِيَانَــةَ والمَغَالَــةَ والخَنَــا ... والغْــدَرَ أَتْرُكُــهُ ببَلْــدَةِ مُفْسِــدِ[١]

---

[١] **الثني:** مثنى النهر، وهو جانبه. **كافر:** اسم علم لنهر الحيرة. **أقنو:** أحفظ، نقول: حفظي لهذا لهذا الكتاب أن أرمي به في الماء.

[٢] طرفة بن العبد، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٨.

[٣] **أبو منذر:** كنية عمرة بن هند. **الغرور:** الخادعة. **الصحيفة:** الورقة أو الرقعة التي يكتب عليها، وهنا تعني الصحيفة التي سلمه إياها عمرو بن هند.

[٤] **نكتة الأرض:** ما أطمأن منها وغمض أي في القبور.

[٥] **الملتفة:** القفر.

[٦] المتلمس الضبعي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٢.

ورغم أن تميم تعد من القبائل الحليفة للمناذرة، إلا أن إخلاصها وولائها الدائمين لم يشفعا لها لدى المناذرة، فحين تعذر عليهم دفع الأتاوة التي كانت تؤديها للملك لأسباب خارجة عن إرادتها، ما كان من النعمان إلا أن أرسل أخاه الريان على رأس جيش كبير معظمه من قبيلة بكر بن وائل، وهي سياسة دأب على انتهاجها لضرب القبائل بعضها ببعض لكي تبقى كلمتها متفرقة، ولا تفكر في الالتقاء ضده، فاستباح الجيش حمى تميم وأوقع بهم وسبى نساءهم وقد صور هذه الوقعة عمرو بن المشمرج اليشكري فقال [٢]:

لَمَّا رَأَوا رَايةَ النُعمانِ مُقبلةً قالوا أَلا لَيْتَ أدنَى دارِنا عَدَنُ

يا ليتَ أَمَّ تميم لم تَكُنْ وَلَدتْ مُرَّاً وكانَتْ كَمَنْ أوْدَى بهِ الزَّمَنُ

إِنْ تقتلونا فأَعْيَارٌ مُجَدَّعَةٌ أو تُنِعُموا فقديما منكمُ المِنَنُ

ويؤكد هذه السطوة للمناذرة على القبائل العربية، قصيدة المثقب العبدي، حين استعطف النعمان بن المنذر وسأله أن يطلق سراح رجال من عبد القيس كانوا قد وقعوا أسرى لديه، وذلك إثر حملة عسكرية شنها الملك على قومه، يقول [٣]:

---

[١] **المغالة:** الحقد الباطن والشر. **الخنا:** الفحش في الكلام.

[٢] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج٢، ص ٨٣.

[٣] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٠٢-١٠٥.

فإنَّ أَبــا قــابُوسَ، عِنْــدِي بَــلاَؤُهُ جَزَاءَ بنُعْمَــى لا يَحِــلُّ كُنُودُهَــــا[1]

وَجَــدْتُ زِنَــادَ الصَّــالِحِينَ نَمْيِنَــهُ قَدِيماً، كَمَا بَذَّ النُّجُــومَ سُــعُودُهَا[2]

فَلْــو عَلِــمَ اللهُ الجِبــالَ ظَلَمَنْــهُ أَتــاهُ بــأَمْرَاسِ الجِبــالِ يَقُودُهَــا

فإِنْ تَكُ مِنَّــا فــي عُمَــانَ قَبِيلَــة تَوَاصَتْ بإِجْنَابٍ وطَــالَ عُتُودُهَــا[3]

وقَدْ أَدْرَكَتْهَا المُدْرِكَاتُ، فأَصْــبَحَتْ إِلَى خَيْرِ مَنْ تَحْتَ السَّــمَاءِ وُفُودُهَــا

إِلَــى مَلِــكٍ بَــذَّ المُلُــوكَ بِسَــعْيِهِ أَفَاعِيلُــهُ حَــزْمُ المُلُــوكِ وجوُدُهَــا

فالشاعر يبين أن قومه والملك النعمان كانوا على عداء، لكنه يبــدأ قصــيدته بتأكيــد الحملة التي شنها النعمان على قومه، فقومه تمردوا على النعمان، ناســين أن الله يقــف مــع النعمان وسينصره على أعدائه، فلو علم الله أن الجبال ستعصي النعمان، لأتاه بها ذليلة طائعة. ويشير إلى قوة النعمان وسطوته، فهو قادر على اخضاع أي قبيلة تعصيه مهما بعد مكانهــا. وبعد هذا ينتقل إلى وصف الحملة والأضرار التي لحقت بقوته، يقول [4]:

---

[1] **كند**: يكند كنودا، كفر بالنعمة وجحدها.

[2] **زناد**: جمع زند وهو ما يقدح منه النار من الشجر، **نماه**: رفع إليه نسبه. **بذّ**: سبق وغلب. **سعود النجــوم**: هي الكواكب التي يقال لكل منها سعد.

[3] **الإجناب**: المجانبة والمباعدة. **العتود**: المخالفة والاعتراض والميل عن الحق

[4] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٠٦-١١٣.

وأىَّ أُنَـــاسٍ لا يُبـــيحَ بِقَتْلَـــةٍ يؤازى كُبَيْداتِ السَّـمَاءِ عَمُودُهـا[١]

وجَأْوَاءَ- فيها كَوْكَبُ المَوْتِ-فَخَمةٍ تَقَمَّصَ- بالأَرضِ الفَضَاءِ- وئيدَهَا[٢]

لَهَا فَـرَطٌ يَحْمِـي النَّهَـابَ كأَنَّـهُ لَوَامِعُ عِقْبَـانٍ مَـرُوعٍ طرِيـدُهَا[٣]

وأَمْكَـنَ أَطـرَافَ الأَسِـنةِ والقَنَـا يَعَابِيبُ قُودٌ، مَـا تُثَنَّـى قُتُودُهَـا[٤]

تَنَبَّـع مِـنْ أَعْطافِهَـا وجُلُودِهَـا حَمِيمٌ، وآضَتْ كالحَمَـالِيجِ قُودُهَـا[٥]

وطَـارَ قُشَـاريَّ الحَدِيـدِ كأَنَّـهُ نُخَالَـةُ أَقْـوَاعٍ يُطِيـرُ حَصِـيدُهَا[٦]

بِكُـلَّ مَقَصِّـيٍّ وكُـلِّ صَـفِيحةٍ تَتَابعُ، بَعْـدَ الحَارِشِـيِّ، خُـدُودُهَا[٧]

وفي الأبيات وصف دقيق للمعركة وأدواتها، فكتائب النعمان تتمتع بالقوة لأنها تضم فرساناً صناديد، وأبطالاً صيداً، فهي تحمل لأعدائه الموت المحقق، فلا حمى أمامها، فهي تدك كل معقل وتستبيح كل معاند بغاراتها وفرسانها الأشداء وخيولها المدربة، ويفصل الشاعر في وصف جيش النعمان فكتائبه يرافقها الموت، لأنها تجلبه لكل من تحل في دياره من الأعداء، كما يصور شدة الضرب والطعن عندما يشن جيش المناذرة حملة على من تمرد من القبائل

---

(١) **يؤازي**: يماثل ويحاذي. **كبيدات السماء**: معظمها. **عمودها**: ما يرتفع من غبارها كالعمود على التشبيه.

(٢) **الجأواء**: الكثيرة، الكتيبة الدروع سميت بذلك لتغير ألوانها من طول الغزو وصدأ الحديد على رجالها. **الوئيد**: شدة الصوت.

(٣) **الفرط**: المتقدمون في طلب الماء. **اللوامع**: يريد بها أجنحة العقبان.

(٤) **اليعابيب**: جمع يعبوب الفرس الطويل السريع. **القود**: الطوال.

(٥) **الحميم**: العرق. **آضت**: عادت. **الحماليج**: قرون البقر الوحشية.

(٦) **قُشاريٌّ**: جمع قشر، وقشاري الحديد ما تنشر وتطاير عند المقارعة. **الأقواع**: جمع قاع وهو المكان الحر الطين ليست فيع حجارة ولا جص.

(٧) **مقصّيّ**: منسوب إلى المقص مصدر قص شعره، وأراد الخيل المقصوصة الأذناب.

المحيطة، وفي آخر القصيدة يناشد المثقب النعمان أن يغفر لقومه فعلتهم، ويمنن باطلاق سراح الأسرى، يقول [١]:

فأَنْعِمْ – أَبَيْتَ اللَّعَنَ – إِنَّكَ أَصْبَحَتْ لَـــدَيْكَ لكَيْـــزُ كَهْلُهَـــا وَوَلِيـــدُهَا[٢]

وأَطْلِقْهُمُ تَمْشِـــي النِّسَـــاءُ خِلاَلَهُـــمْ مُفَكْكَـــةً وَسْـــطَ الرِّحَـــالِ قُيُودُهَـــا

وقصة الملك عمرو بن هند مع الشاعر عمرو بن كلثوم، صورة حية لطغيان المناذرة وتجبرهم، وسعيهم لإذلال القبائل العربية الأخرى، في محاولة لمنع أي زعيم أو قبيلـــة مـــن مجرد التفكير في أن يكونوا أعزة مالكين لأمرهم. وخلاصة القصة أن أم عمـــرو بـــن هنـــد حاولت – بطلب من الملك– حمل أم عمرو بن كلثوم على خدمتها، الأمر الذي جعل عمرو بن كلثوم يشيط غضباً، ويقدم على قتل عمرو بن هند [٣]، وينشد مرتجلاً – على ما تزعم بعض الروايات [٤]:

أَبَـــا هِنْـــدٍ فَـــلا تَعَجَـــلْ عَلَيْنَـــا وأَنْظِرْنَـــا نُخَبِّـــرْكَ اليَقِينَـــا[٥]

بأَنَّـــا نَـــوُرِدُ الرَّايَـــاتِ بِيضـــاً ونُصْـــدِرُهُنَّ حُمْـــراً قَـــدْ رَوِينَـــا[٦]

وأيّـــامٍ لنـــا غُـــرٍّ طِـــوَالٍ عَصَـــيْنَا المَلْـــكَ فيهـــا أنْ نَـــدِينَا[٧]

---

[١] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١١٦.

[٢] **لُكيز**: قوم الشاعر ينسبون إلى لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

[٣] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٧٥.

[٤] عمرو بن كلثوم، **الديوان**، تحقيق: اميل بديع يعقوب، الطبعة الأولـــى، دار الكتـــاب العربـــي، بيـــروت، ١٩٩١م، ص ص ٧١-٧٢.

[٥] انظرنا: انتظرنا أو أخرنا.

[٦] **الريات**: الأعلام. **نصدرهن**: نردهن. **حمرا**: يعني قد روين من الدم.

[٧] **غر**: بيض. **ندينا**: نطيع.

وسَـــيِّدِ مَعْشَـــرٍ قَـــدْ تَوَّجُـــوهُ بِتَاجِ المُلْـكِ يَحْمِـي المُحْجَرِينَـا[1]

تَرَكْنَـــا الخَيْـــلَ عَاكِفَـــةً عَلَيْـــهِ مُقَلَّـــــدَةً أَعِنَّتَهـــــا صُـــــفُونا[2]

فيخاطب الشاعر عمرو بن هند طالباً منه التأني ليتمكن من إخباره بكينونته التي تجاهلها الملك، وتمثلت بإبائه فهو لا يطيع الملك ولا يتذلل له، كما يفعل المضطرون، بل هو الفارس الشجاع الذي لا يمكن النيل من أرومته أوشجاعته، وهذه الصفات من طيب الأصل والشجاعة يرى عمرو بن كلثوم أنها لا تنطبق على الملك اللخمي، وبعد ذلك ينتقل لتصوير اعتزازه وافتخاره بنفسه وقومه، مظهراً التمرد على حكم عمرو بن هند، يقول [3]:

إذا ما المَلْكُ سَـامَ النَّـاسَ خَسْـفاً أَبَيْنَـــا أنْ نُقِـــرَّ الـــذُّلَّ فينـــا[4]

لَنَا الـدُّنْيَا ومَـنْ أمْسَـى عَلَيْهَـا وَنَبْطِشُ حِـينَ نَـبْطِشُ قَادِرِينَـا[5]

بُغَـــاةً ظَـــالمِينَ وَمَـــا ظُلِمْنَـــا ولكِنَّـــــا سَـــــنَبْدَأُ ظَالِمِينَـــــا

تَنَـــادى المُصْـــقبانِ وآلُ بكـــرٍ ونَـــادوا يَـــا لَكِنْـــدةَ أَجْمَعِينَـــا

فَـــإِنْ نَغْلِـــبْ فَغَلاّبُـــون قِـــدْماً وإِنْ نُغْلَـــــبْ فَغَيْـــــرُ مُغَلَّبِينَـــــا

مَلأْنَـــا البَـــرَّ حتّـــى ضَـــاقَ عَنَّـــا وَنَحْـــن البَحْـــرُ نَمْـــلأُهُ سَـــفِينا

إِذا بَلَـــغَ الفطَـــامَ لنَـــا وليْـــدٌ تَخِـــرُّ لَـــهُ الجَبَـــابِرُ سَـــاجِدِينا

---

[1] **يحمي:** يمنع. **المحجرين:** الذين ألجتوا من الضيق

[2] **عاكفة:** واقفة مقيمة عليه. **الصفون:** جمع صافن وهو القائم على ثلاث.

[3] عمرو بن كلثوم، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٩٠-٩١.

[4] **السخف:** الظلم والنقصان

[5] **التضعضع:** التكسر والتذلل والونى

ومن هذه الأبيات يتبين لنا أن غطرسة المناذرة وتجبرهم قوبلت بالتمرد والثورة من بعض القبائل التي رفضت ذل الانصياع ومهانة التبعية.

ومن مظاهر التمرد التي صورها لنا الشعر يوم طخفة، وفيه انتصر بنو يربوع من تميم على المنذر بن ماء السماء. ومن حديثه أن ردافة ملوك الحيرة كانت في بني يربوع، ولكنها آلت في عهد المنذر لعتاب بن هرمي ولما مات أراد المنذر أن ينقلها إلى بني مجاشع وهم قبيل من تميم أيضاً فلما أبت بنو يربوع ذلك قارعهم الحرب في طخفة، وفيه يقول مالك بن نويرة مفاخراً [1]:

ونحنُ عقرنا مَهْرَ قابوسَ بعدما رأى القومُ مِنْهُ الموتَ والخيلُ تُلْحُبُ [2]

عليه دلاصٌ ذاتُ نَسْجٍ وسيفُه جُزازُ من الهنديّ أبيضُ مِقْضَبُ [3]

طلبنا بها إنا مداريكُ قبلها إذا طلبَ الشأوُ البعيدُ المُغَرِّبُ

وما هذا إلا غيضٌ من فيض صورتهم السياسية التي يمكن أن نطلق عليها في مفهومها الحديث – صورتهم الدكتاتورية – فهم وإن كانوا عمالاً للفرس ويخضعون لسيطرتهم فإنهم أرادوا في المقابل بسط السيطرة العربية على القبائل المحيطة متشبهين في ذلك بالقوى الكبرى، غير أن القبائل العربية في بعض الأحايين رفضت ذلك وتمردت مما أدى إلى نشوب الحرب بينهم.

---

[1] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٥٣٢.

[2] **قابوس:** ابن النعمان بن المنذر، أسر في هذا اليوم. **تلحب:** تضرب بالسوط.

[3] **دلاص:** من الدروع اللينة البراقة الملساء.

ثانياً: صورة الغساسنة

أما عن الحياة السياسية للغساسنة، فهي أظهر شيء يبدو للقارئ عندما يقرأ القصائد التي قيلت فيهم، ومظاهر هذه القوة واضحة فيما كان يقع بين الدولتين المتنافستين دولة الحيرة الغساسنة من حروب مستمرة، فلقد كانت كل دولة منهما حريصة على توسيع رقعة نفوذها، وكذلك حريصة على أن تأتلف من القبائل ما تستطيع، ويذكر نولدكه في كتاب أمراء غسان أمثلة من هذه الحروب التي كانت تقع بين الدولتين من جراء رغبة كل منهما في توسيع منطقة نفوذها [١].

فعندما يصف لنا عدي بن الرعلاء الغساني نصر الغساسنة على المناذرة يوم عين أباغ، يجسد لنا المعركة بمنظور الفنان، راسماً لوحة رائعة للحالة التي ترك عليها جيش الغساسنة جيش المناذرة، فقد طرحوهم مثلما يطرح الشيء عديم القيمة، وأراحوهم من الحياة الشقية الذليلة [٢]:

كَمْ تَركنا بالعينِ عينِ أَباغٍ ... مِنْ مُلوكٍ وسُوقَةٍ أَلقاءِ[٣]

أَمطرتْهمُ سحائبُ الموتِ تَتْرَى ... إِنَّ في الموتِ راحةَ الأشقياءِ

ليسَ مَنْ ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

فَرَّقَتْ بينَهم وبين نُعَيْمٍ ... ضَربةً من صفيحةٍ نَجْلاءِ[٤]

---

[١] نولدكه، **أمراء غسان من آل جفنة**، ترجمة: بندلي جوزي وزميله، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣، ص ١٨.

[٢] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، الأبيات: ١-٣، ج١، ص ص ٤٥١-٤٥٢.

[٣] **عين أباغ:** بطرف العراق مما يلي الشام. **سوقة:** عامة الناس. **القاء:** جمع لقى وهو ما طرح وترك لهوانه.

[٤] **نجلاء:** واسعة.

وعدي عندما يتغنى بالنصر الذي حققه الغساسنة على المناذرة، يصور أيضاً القوة والجبروت الذي كان يتمتع به المعسكر الغساني، ومن هذا النصر نلمح بعداً عسكرياً آخراً أراد الشاعر إيصاله لملوك المناذرة من جهة، وللقبائل العربية من جهة أخرى، وكأنه أراد من هذا الوصف تحذير القبائل من التمرد على سلطة الغساسنة، ويعد هذا من الأبعاد السياسية التي قصدها الشعراء عند تغنيهم بانتصارات حلفائهم.

فَأُناسٌ يُمَصَّصونَ ثِماداً وأُناسٌ حُلوقُهم في الماءِ[1]

ربَّما ضربةٍ بسيفٍ صقيلٍ بين بُصرَى وطعنةِ نَجْلاءِ

وغَموسٍ تضلَّ فيها يدُ الآ سي ويَعيَا طبيبُها بالدواءِ[2]

رفعوا رايةَ الضِّرابِ وآلوُا ليذوُدنَّ سائرَ البطحاءِ

فرفعنا العُقاب للطعنِ حتى جرتِ الخيلُ بينهم بالدماءِ

---

[1] **يمصصون:** يشربون. **ثماد:** وهو الماء القليل ليس له مدد.

[2] **الغموس:** من الأمر.

وفي هذا اليوم قالت ابنة المنذر بن ماء السماء [١]:

بعـــيَنِ أُبـــاغَ قاسَـــمْنا المنايـــا فَكَـــان قَسِـــيُمها خَيْـــرَ القسَـــيمِ

وقـــالوا فـــارسَ الهَيْجـــاءِ قَلْنَـــا كـــذاك الـــرُّمحُ يَكْلَـــفُ بـــالكرَيمِ

وفي يوم حليمة، وهو للحارث الأعرج بن جبلة، على المنذر بن ماء السماء [٢]، إشارة صريحة إلى التفوق الحربي الذي يتمتع به الغسانيون، فالقارئ لشعر النابغة الذبياني في آل جفنة يلاحظ أنه صور في قصائده القوة الحربية لهم، فلا يفوته أن يمجد بطولاتهم ذاكراً أنهم لا يكادون يباشرون الحرب حتى يدرك الناس أنهم سينتصرون، حتى أنه شعر أن المبالغة التي تشخص هذا المعنى، لا تكفي لتعظيم الغساسنة، فتعدي الناس بمعرفة بطولتهم إلى الطير، وجعل الطيور تتبع جيوشهم طمعاً بالتغذي من جيف القتلى، يقول في القصيدة التي مطلعها [٣]:

كِلِيني لِهَمٍّ، يـا أُمَيْمَـةَ، نَاصِـبِ، ولَيْـلٍ أُقَاسِـيهِ، بَطِـيءِ الْكَواكِـبِ

وفي هذه القصيدة يذكر يوم حليمة، ويصف ساحة القتال، وكيف أن نصرهم هذا وسلاحهم موروث من أزمان قديمة كان النصر فيها حليفهم وكانت الدربة على القتال شيمتهم منذ القدم يقول فيهم[٤]:

---

[١] الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، ج٦، ص ٤٢٢.

[٢] ابن اللأنباري، القاسم بن محمد (ت ٣٠٤هـ)، **شرح ديوان المفضليات**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٨٧. الميداني، **مجمع الأمثال**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣١٩. الحموي، **معجم البلدان**، مصدر سابق، ج٣، مادة حليمة، ص ١٧٧. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٥٢. البغدادي، عبد القادر عمر (ت١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب**، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ج٢، ص ٢٤٧. جرجي زيدان، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص ١٩٣. جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، مرجع سابق، ج٣، ص ٤٠٨.

[٣] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدرسابق، ص ٥٤.

[٤] المصدر نفسه، ص ص٥٤-٦٤.

وَثِقْتُ لَهُ بالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَــدْ غَــزَا بغَسَّانَ غَسَّانِ الْمُلُــوكِ الأَشَــايبِ[1]

بنَي عَمِّهِ دِنْياً وعَمْرو بْــنِ عــامِرٍ أُولئــكَ قَــوْمٌ بَأْسُــهُمْ غَيْــرُ كَــاذِبِ

إِذا مَا غَزَا بِالْجَيْش، أَبْصَرْتَ فَوْقَهُمْ عَصائِبَ طَيْــرٍ، تَهْــتَدِي بِعَصــائِبِ

جَــوانِحَ قَــدْ أَيْقَــنَّ أَنَّ قَبيلَــهُ إِذَا ما الْتَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلَ، غالِــبِ[2]

يُصانِعْنَهُمْ، حَتَّى يُغِرْنَ مَغارَهُــمْ مِنَ الضَّارِياتِ، بالــدِّماءِ، الدَّوارِبِ[3]

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَــادَةٌ قَــدْ عَــرَفْنَها، إِذَا عرِّضَ الْخَطِىُّ فوْقَ الْكَواثِــبِ[4]

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ زُوراً عيُونُهــا، جُلُوسَ الشُّيوخِ في مُسُوكِ أَرانِــبِ[5]

يصف النابغة الذبياني القوة العسكرية الغسانية وصفاً دقيقاً، فاستعار عصائب الطيــر ليعبر عن كثرة انتصاراتهم فحيث غزو حلقت الطير فوقهم يهتدي بعضــها بــبعض، وهــذه النسور تصاحبهم في جميع غزواتهم لادراكها أن النصر لهم، فصار لها عادة علــى هــؤلاء القوم أن يظفروا بأعدائهم، فتقع الطير على لحومهم [6].

---

[1] الأشايب: هم الأخلاط والواحدة أشتبة.

[2] جوانح: مائلة في أحد شقيها للوقوع.

[3] **يصانعنهم**: أي يتبعنهم. **الدوارب**: المتعودات. **الضاريات**: اللواتي ضريت بشرب الدماء.

[4] **الخطي**: الرماح، منسوبة إلى الخط وهي جزيرة بين سابور إلى أوال.

[5] **مسوك أرانب**: ثياب مصنوعة من جلود الأرانب.

[6] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٥٩-٦٠.

عَلَى عارِفاتٍ لِلطِّعــانِ، عَــوابِسٍ، بِهِـــنَّ كُلُــومٌ بَــيْنَ دَامٍ وجـــالِبِ[1]

إِذَا اسْتَنْزَلُوْا عَنْهُنَّ للطَّعْنِ أَرْقَلُــوا، إِلَى الْموت، إِرقَالَ الْجِمالِ الْمَصَاعبِ[2]

ولا عَيْبَ فِيهِمْ غيــر أَنَّ سُــيوفَهُمْ، بِهِــنَّ فُلُــولٌ مِــنْ قِــراعِ الْكَتَائِــبِ[3]

يبين الشاعر كثرة عتادهم الحربي، فإذا ضاق المكان في القتال عن الخيــل، تــداعوا بالنزول عنها وأسرعوا إلى القتال. وهؤلاء الجند كثيرو العدد لا يعيبهم إلا كثرة تكسر سيوفهم وهذا كناية عن كثرة الحروب التي يخوضونها [4].

تُخَيِّرْنَ مِنْ أَزْمَــانِ يَــوْم حَليمَــةٍ، إِلىَ الْيَوْمِ، قَدْ جُرِّبْنَ كُــلَّ التَّجَــارِبِ

تَجُذُّ السَّلُوقِيِّ الْمُضَــاعَفَ نَسْــجُه، وَيُوقِدْنَ بالْصَّفَّاحِ نَــارَ الحُبَاحِــبِ[5]

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَــنْ سَــكِنَاتِهِ، وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ المَخاضِ الضَّــوارب[6]

فَهُمْ يَتَسَــاقَوْنَ الْمَــنِيَّةَ بَيْــنَهُمْ، بِأَيْديهِمُ بــيضٌ، رِقَــاقٌ المْضَــارِبِ

يَطِيرُ فُضَاضاً بَيْنَهُمْ كُلُّ قَوْنَسٍ، وَيتبعــها مِنْهُمْ فَرَاشُ الحَوَاجِــبِ[7]

---

[1] **عوابس:** كوالح. **كلوم:** جراحات. **جالب:** الذي عليه جلدة رقيقة تركب الجرح عند البرء.

[2] **الإرقال:** ضرب العَدْو. **الجمال المصاعب:** التي لم ترض.

[3] **القراع:** المقارعة والمجالدة.

[4] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٦٠-٦٢.

[5] **سلوق:** مكان باليمن تنسب إليه الدروع السلوقية. **الصفاح:** الصفا الذي لا ينبت أو الحجارة العراض. **نار الحباحب:** من حوافر الخيل يصك الحجر الحجر فيخرج منه النار.

[6] **سكناته:** حيث يسكن ويستقر. **كإيزاع:** شبه خروج الدم من الجرح بنفح المخاض ببولها والمخاض الأبــل الحوامل.

[7] **فضاضا:** ينفض يتفرق. **القونس:** أعلى البيضة.

وهذه السيوف ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، وهي من ذاك اليوم إلى يوم حليمة خاضت كثيراً من الحروب، وهي سيوف مواضٍ لدرجة أنها تقطع الدروع، فتصير إلى الحجارة فتوقد النار فيها. كما أن فرسانهم لقوة بأسهم (فهم يتساقون المنية بينهم)، وضرب التساقي مثلاً لأن أكثر مهالك الإنسان فيما يشرب من السموم.

إن كانت هذه القصيدة تمثل نموذجاً للشعر في المدح السياسي عامة، فهي أيضاً تمثل لنا سياسة الغساسنة الحربية، فالشاعر يصف لنا قوتهم العسكرية، وتنظيمهم، وتدربهم على القتال، كل هذا يدل على السياسة العسكرية المتبعة من قبل الغساسنة، ومثل هذه القصائد هي التي تعرض لنا السياسة العامة للحكام في السلم والحرب.

ويعد التشفع لفك الأسرى، من أهم الصور التي تجلى فيها البعد الإنساني لسياسة الغساسنة، فرغم ما الحقته بالقبائل المحيطة لها من الظلم سعياً وراء بسط نفوذها، إلا أن سياستها في التعامل مع القبائل لم تتسم بالبطش بشكل دائم، وإنما تخللها بعض المواقف التي ظهروا فيها بمظهر الجواد الكريم المتفضل ويظهر ذلك عندما تشفع علقمة الفحل لدى الحارث الغساني ليفك أسر أخيه [١]:

إلى الحارث الوَّهاب أعملتُ ناقتي ... لِكلْكِلِها والقُصْريينْ وجيبُ[٢]

لِتُبلِغني دار امرئٍ كَانَ نائياً ... فقد قرَّبتْني من نداكَ قَروبَ[٣]

إلَيكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ وَجيفُها ... بِمُشتبهاتٍ هوَلهُنَّ مهَيبُ[٤]

تَتَبَّعُ أنيْاءَ الظِلالِ عَشَيَّةً ... عَلى طُرُقٍ كأَنَّهُنَّ سُبُوبُ[٥]

---

[١] علمقة الفحل، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١١٩.

[٢] **كلكلها:** صدرها. القصريين: الضلعان الصغيرتان في آخر الأضلاع. **الوجيب:** اضطراب وخفقان من شدة السير.

[٣] **قروب:** طلب.

[٤] **الوجيف:** ضرب من السير.

[٥] **السبوب:** شقاق الكتان.

هَــداني إِليــكَ الفَرقَــدان ولاحِــبٌ لَهُ فوقَ أَصــواءِ المِتــانِ عُلُــوبُ[1]

بِها جِيَفُ الحسرى فأمَّــا عِظامَهــا فبــيضٌ وأمَّــا جلــدُها فَصــليبُ

فعلقمة في تشفعه لفك أسر أخيه يسلك طريق المدح، فيبالغ في تعداد صفات الملك من جود وكرم وطيب أصل وقوة واقتدار، وتكرم الملك واعتاق الأسرى كرامة للشاعر، يجعــل هذا الشاعر أسير معروف الملك، مما يدفعه لمدحه في محاولة لرد الجميل، فيكسب الملك ولاء الشاعر وقومه[2]:

وأنتَ امْرؤٌ أَفَضْتْ إِليــكَ أَمــانتي وقبلــك ربَّتنــي فَضِــعتُ رَبــوبُ

فأَدَّت بنو عَوفِ بنِ كعــبٍ ربَيبهــا وغُودِرَ في بعــضِ الجُنــودِ رَبيــبُ

فواللهِ لولا فــارسُ الجَــونِ مــنهُمُ لآبوا خزايــا والإيــابُ خَبيــبُ[3]

نُقدِّمُــه حتــى تَغيــبَ حُجُولُــه وأَنْتَ لبيَض الــدَّارعين ضَــروبَ[4]

مُظاهرُ سِــربَالي حَديــد عليهِمــا عقــيلا سُــيوفٍ مِخــذَمٌ ورَســوبُ

---

[1] **الفرقدان:** نجمان. **الاحب:** الطريق الواضح. **الأضواء:** الحجارة تجمع لتكون أعلاما. **المتان:** ما غلظ مــن الأرض. **العلوب:** الأثار.**الربوب:** جمع رب وهو المالك.

[2] علقمة الفحل، **الديوان**، مصدر سابق، ص١١٩.

[3] **فارس الجون:** الحارث بن أبي شمر. **الجون:** فرسه.

[4] **حجوله:** ما في قوائمه بياض.

فَجالدَتهُم حتـــى اتَّقــوكَ بِكبشِـــهمْ وقَدْ حَانَ مِنْ شمسِ النَّهارِ غُروبُ[1]

وقَاتــلَ مِنْ غسَّانِ أهَــلُ حِفاظِهــا وهِنبٌ وقاسٌ جــالــدت وشَبَــيبُ[2]

والشعراء عندما يمتدحون الغساسنة يلجأون إلى تصوير قوتهم الحربية والعســكرية، لأنها أظهر شيء في الدولة، فالحضارة الغسانية رغم ما تمتعت بــه مــن تقــدم معمــاري واقتصادي واجتماعي، إلا أن تقدمها العسكري والحربي طغى على الجوانب الأخرى، وربما كان ذلك عائداً لكونها دولة حاجزة، فها هو النابغة في مدحه لأل غسان يستعين بالقوة الحربي فيصف الجيش الجرار القوي لدولة الغساسنة[3]:

إِن يَسْلَمِ الْحَارِثُ الْحَرَّاثُ تَعْتَرِفُــوا جَيْشاً مُغِيراً على ثَهْــلانَ أَوْ خَطَــرا

قَادَ الْجِيَــادَ مِــن الغَرْبِــيِّ مُنْعَلَــةً حَتَّى هَــبَطْنَ بِــلاَداً تُنْبِــتُ العُشَــرَا

قُبَّ البُطُونِ طَوَاهَا القَوْمُ فانْــدَمَجَتْ قَضَّين بــاللَّوْذِ ممَّــا حُمِّلَــتْ وَطَــرَا

ورغم القوة العسكرية المنظمة التي تمتع بها جيش الغساسنة، إلا أن القبائل العربيــة التي عانت من ظلم الغساسنة وتجبرهم استطاعت في بعض الأحايين التغلب على هذا الجيش بقوة الإرادة، وغزة النفس، التي حاول الغساسنة والمناذرة على حد سواء طمس معالمها. ويوم بزاخة خير شاهد على هذا التمرد والرفض لسياسة الظالمة التي اتبعها الغساسنة لإخضاع كل من شق عصا الطاعة، وفيه قال ابن القائف [4]:

---

[1] **كبشهم:** ملكهم.

[2] **هنب:** هنب بن أهون بن بهراء. **قاس وشبيب:** أبناء دريم بن القين بن أهود.

[3] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٤١.

[4] أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: محمد إبــراهيم حــور وزميله، الطبعة الثانية، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨، ج٢، ص ٣٦٩.

نِعْم الفوارسُ يومَ جيشِ مُحرِّقٍ لحقوا وهم يدعون يالَ ضرارِ

زيدُ الفوارسِ كرَّ وابنا منذرٍ والخيلُ أَوجَفَها بنو جَبَّارِ

حتى سَمَوا لمحرّق برماحهم بالطعنِ بين كتائب وغُبارِ

ولعمر جدَّك ما الرقادُ بطائشٍ رعشٍ بديهتُه ولاُ عوّار

وكان يوم أضم مثالاً حياً جديداً على تمرد القبائل العربية على السياسة الغسانية فالقبول بوجود الدولة الغسانية ومحالفتها لا يعني الخضوع والذل والهوان وإنكار الذات، فنجد أن القبائل العربية عندما أحست بمغزى السياسة التي انتهجها آل جفنة معهم، ثارت وشقت عصا الطاعة، وتعد أبيات ربيعة بن مقروم الضبي في هذا اليوم من الصور الشاهدة على غطرسة الغساسنة التي انتهت نهاية أليمة[1]:

وآلُ مُزيقياءَ وقد تَدَاعَتْ حلائبُهُم لنا حتى تَرينا

صَبَرْنَا بالسَّيوفِ لهم وكانت معاقِلُنَا بِهِنَّ إذا عَصِينا

وغادَرْنا قَريعَهم صريعاً عوائدُهُ سِباعٌ يعتفينا

---

[1] **شرح النقائض**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٧٠. نوري حمودي القيسي، **شعراء إسلاميون**، الطبعة الثانية عالم الكتاب، بيروت ١٩٨٤م، ص ٢٨٦ مع اختلاف في رواية بعض الأبيات.

والنابغة الذبياني واحد من أهم الشعراء الذين وفدوا على ملوك الغساسنة، واستطعنا من خلال شعره رسم صورة واضحا للمنحى السياسي والعسكري للبلاط الغساني. وقد وقعت بين قومه وبين الغساسنة مناوشات عديدة من أهمها تلك التي صور لنا فيها تغلب الغساسنة على قومه بعد أن أعتدى قومه على وادي أقر وتربعوه، ورغم أن النابغة نهى قومه عن الاقتراب من هذا الوادي حتى لا يغضبوا الملك الغساني، إلا أنهم عيروه خوفه من الملك الغساني، ويبدو أن خوف النابغة كان في محله[١]:

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أُقُرٍ ... وَعَنْ تَرَبُّعِهِمْ فِي كُلِّ أَصْفَارِ[٢]

وَقُلْتُ يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ ... عَلَى بَرَاثِنِهِ لِعَدْوَةِ الضَّارِي [٣]

لاَ أَعْرِفَنْ رَبْرَباً حُوراً مَدَامِعُها ... كَأَنَّهُنَّ نِعَاجٌ حَوْلَ دوَّارِ [٤]

يَنْظُرْنَ شَزْراً إِلى مَنْ مَرَّ عَنْ عُرُضٍ ... بأَوْجُهٍ مُنْكِراتِ الرِّقِّ أَحْرَارَ[٥]

خَلْفَ الْعَضَارِيطِ من عَوْذَى ومن عَمَمٍ ... مُزْدَفَاتٍ على أَحْنَاءِ أَكْوَارِ[٦]

يُذْرِينَ دَمْعَ مُزادٍ دَمْعُهَا دِرِرٌ ... يأمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنٍ وابن سَيَّارِ

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٨٠.

[٢] **أقر**: اسم جبل. **تربعهم**: اتخاذهم والتربع لا يكون إلا في الربيع. **أصفار**: جمع صفر. وكان صفر يومئذ في الربيع.

[٣] **منقبض**: مستعد متهيئ للوثوب، **البراثن**: الأظفار. **الضاري**: المعتاد.

[٤] **الربرب**: القطيع من البقر. **الحور**: العيون واضحات البياض والسواد. **النعاج**: إناث بقر الوحش. **دوار**: ما استدار من الرمل.

[٥] **عُرُض**: اعتراض. **منكرات الرق**: هن أحرار فلما سبين انكرن الرق.

[٦] **العضاريط**: التُّبَّاع. **مردفات**: يستخف بهن لأنهن مأسورات ولا يوقّين لهوانهن. **الأكوار**: الرحال.

سَاقَ الرُّفَيْدات مِنْ جَوْشٍ وَمِــنْ حَــدَدٍ وَمَاشَ مِنْ رَهْطِ رِبْعِــيٍّ وحَجَّــارِ[١]

قَرْمَــا قُضَــاعَةَ حَــلاَّ حَــوْلَ حُجْرَتَــهِ مَــدَّا عَلَيــهِ بسُــلاَّفٍ وَأَنْفَــارِ[٢]

حَتَّــى اسْــتَقَلَّ بِجَمْــعٍ لا كِفَــاءَ لَــهُ يَنْفي الوُحُوشَ عنِ الصَّحْراءِ جَرَّار[٣]

لا يَخْفِضُ الرِّزَّ عَــنْ أَرْضٍ أَلَــمَّ بِهــا ولاَ يَضِلُّ على مِصْباحِهِ السَّــاري [٤]

قَــدْ عَيَّرتَنْــي بَنُــو ذُبْيَــانَ خَشْــيَتَهُ وَهَلْ عَلَيّ بِــأَنْ أَخْشَــاهُ مِــنْ عَــارِ

فالنابغة في هذه الأبيات يصف لنا ثورة الملك، وغضبه من بين ذبيان فيجعــل منــه الليث الذي يستعد للانقضاض على فريسته، وهو في استعارته لهذه الصورة، يقصــد تجســيد الغطرسة والجبروت اللذين يتمتع بهما هذا الملك، فالليث عندما ينقض على فريسته، يختــار الفريسة الأضعف والأسهل، غير أن النابغة قصد بهذه الاستعارة تصوير عظمة وقوة الغساسنة فهم لا يخشون أحد مهما بلغ من القوة، لأنهم إذا أرادوا غزو قبيلة فإنهم يستعينون بجــيش لا مثيل له في العدة والعدد ضماناً للنصر، وفي آخر بيت في القصيدة يذكر تعيير قومه له، ولكن ليس هناك من عار عندما تخشى من هو أقوى منك.

وإن كانت هذه القصيدة تختص بواقعة واحدة، إلا أنها جاءت مــثلاً عامــاً لاســتبداد السياسي والعسكري الذي اتبعه الغساسنة في تعاملهم مع القبائل المحيطة بهــم الحليفــة لهــم والمعادية على حد سواء.

---

[١] **الرفيدات:** بنو رفيد بن ثور بن كلب بن وبرة من كلب. **جــوش:** أرض لبني القين. **حــدد:** أرض لكلــب. **ماش:** خلط. **وربعي وحجار:** من بني الحارث بن اسعد بن هذيم بن زيد بن قضاعة.

[٢] **قرما قضاعة:** عنى ربعيّا وحجارا اللذين ذكرهما في البيت السابق. **السلاف:** المتقدمون. **الأنفــار:** جمــع نفر، قصد الناس

[٣] **لا كفاء له:** لا مثيل له . **جرار:** كثير.

[٤] **الرز:** الصوت

كما وتمتع قادة الجيوش الغسانية بنفس الجبروت الذي استمدوه من ملوكهم، فيصف النابغة غارة للنعمان بن الحلاج قائد جيش الغساسنة على قومه ذبيان وكيف أصابهم حتى أضحوا عباداً له[1]:

صَبَحْتَ بَني ذُبْيَانَ مِنْهُ بِغَارَةٍ جَرَتْ لَكَ فيهَا السَّانِحَاتُ بِأَسْعُدَ

أصَابَهُمُ قَسْراً فأَضْحَوْا عَبِادَهُ فَجَلَّهَا نُعْمَى ولَمْ يَتَشَدَّدِ

كما قال في قصيدة أخرى يصف هذه الغارة [2]:

لَعَمْري لَنِعْمَ الْحَيَّ صَبَّحَ سِرْبَنا وَأَبْيَاتَنا يَوْماً بِذات الْمرابدِ[3]

يَقُودُهُمُ النَّعْمَانُ مِنْهُ بِمُحْصفٍ وكَيْدٍ يَعُمُّ الْخَارِجِيَّ مُناجِدِ[4]

وَشِيمةِ لاَ وَانٍ وَلاَ وَاهِنِ الْقُوَى وَجَدٍّ إِذَا حَانَ الْمُفيدُونَ صَاعدِ[5]

فَآب بِأبْكَارٍ وَعُونٍ عقائِلٍ أَوَانيسَ يَحْمِيها امْرؤُ غَيْرُ زَاهِدِ

وكان النابغة يقوم مقام الوسيط، فهو يحاول أن يصلح ما كسر قومه، وأحياناً أخرى يحاول أن يثني الملك عن غزو قومه أو أحد أحلافهم، فها هو يستمع إلى تهديد النعمان بن الحارث لقومه بزعامة حصن بن حذيفة الفزاري، لأنهم منعوا ملك غسان من تربع أقر فيحاول أن يعتذر عن قومه ويشكك في الكلام الذي وصله من النعمان حين قال: " إن حصناً

---

[1] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

[2] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٦٨-١٦٩.

[3] **السَّرب**: المال الراعي، **السِّرب**: القطيع من البقر والظباء والنساء. **ذات المرابد**: اسم موضع.

[4] **بمصحف**: برأي وعقل وحكم. **الخارجي**: الذي شرُف ولم يكن لآبائه شَرف. **مناجد**: شديد. **الكيد**: المكر.

[5] **شيمة**: طبيعة. وان: ضعيف. **الجد**: الخط. **الصاعد**: الناجي. **المفيدون**: جمع مفيد وهو المستفيد.

عظيم الذنب إلينا وإلى الملك، فقال النابغة: أبيت اللعن إن الذي بلغك باطل "، وفي ذلك يقول النابغة [١]:

إِنَّي كَــأَنَّي لَــدَى النُّعْمَــانِ خَبَّــرهُ بَعْضُ الأَوَدِّ حَدِيثاً غَيْــرَ مَكْــذُوبِ[٢]

بِأَنَّ حِصْناً وَحَيّاً مِــنْ بنــي أَسَــدٍ قالُوا جَميعاً: حِمانَــاً غَيْــرُ مَقْــروُبِ

ضَــلَّتْ حُلُــومُهُمُ عَــنْهُمْ وَغَــرَّهُمُ سَنَّ الْمُعَيْدِيِّ فــي رَعْــي وتَعْزِيــبِ

قَادَ الْجِيادَ مِنْ الْبَلْقَاءِ مَــا طَعِمَــتْ في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غَيْــرَ تَأْوِيــبِ[٣]

حَتَّى استَغَثْنَ بِأَهْلِ الْمِلــحِ ضَــاحِيَةً يَرْكُضْنَ، قَدْ قَلِقَت عَقْدُ الأَطَانيــبِ[٤]

يَنْضَحْنَ نَضْحَ المَزادِ الْوُفْرِ أَتأَقَهــا شَدُّ الــرُّوَاةِ بِمــاءٍ غَيْــرِ مَشْــرُوبِ

وعندما وجد النابغة أن الملك يريد غزو بني حن حاول أن يثنيه عن هذه الغزوة ولكنه رفض، فما كان من النابغة إلى تحذير قومه، والطلب منهم مساعدة بني حن، وكان اللقاء بين الغساسنة وبني حن مع قوم النابغة، وكان النصر إلى جانب قوم النابغة وهزيمة الغسانيين، فما كان من النابغة إلا أن يذكر الملك بما نصحه، ولكن دون جدوى، فقــال النابغــة فــي هــذه الحادثة [٥]:

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٨٨-٩١.

[٢] **بعض الأود**: يعني أهل الود.

[٣] **طعمت**: أراد لا يقلن بل يتأوبن بالليل. **التأويب**: سير الليل كله من طلوع الشمس إلى غروبها.

[٤] **الملح**: أراد الأملاح. **الأطانيب**: الحزم والأطناب.

[٥] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٤٤.

قَــدْ قُلْــتَ لِلنَّعْمــانِ لَمَّــا رَأَيْتُــهُ يُرِيدُ بَنــي حُــنٍّ بِثُغْــرَةِ صَــادِرِ[1]

تَجَنَّــبْ بَنــي حُــنٍّ فــإِنَّ لِقَــاءَهُمْ شَــدِيدٌ وإِنْ لَــمْ تَلْــقَ إِلاَّ بِصــابِرِ

عِظامُ اللُّهى أَبْنــاءُ عُــذْرَةَ إِنَّهُــمْ لَهــامِيمُ يَسْــتَلْهُونَها بِــالْجَراجِرِ[2]

هُمُ مَنَعُوا نَخْلَ الْقُرَى من عَــدُوِّهِمْ بِجَمْــعٍ شَــديدٍ كَيْــدُهُ لْلمُكــاثِرِ

ومن الصور التي اتسمت بجانب إيجابي للسياسة الغسانية، توسط الشعراء لدى ملوك الغساسنة من أجل فك الأسرى، ومن هؤلاء الشعراء حاتم الطائي الذي وقف بين يدي الملك الحارث بن عمرو الجفني وأنشده قصيدته التي مطلعها:

أَبَــى طُــولُ لَيْلِــكَ إلا سُــهُودا فمــا إِنْ تُبِــينُ لِصُــبْحٍ عَمُــودا

أَبِيــتُ كَئِيبــاً أُراعِــي النُّجُــومَ وَأَوْجَــع، مِــنْ ســاعِدَيّ الحَدِيــدا

أُرَجَّــي فَواضِــلَ ذِي بَهْجَــةٍ مِنْ النَّاسِ، يَجْمَــعُ حَزْمــاً وَجُــودا

نَمَتْــهُ أَمامَــهُ والحارِثــا نِ حتَّى تَمَهَّــلَ سَبْقــاً بَعِيــدا

---

[1] **حن** بن ربيعة أخو رزاح. **ثغرة**:ثنية.

[2] **اللهى**: الواحدة لهوة، وأصل اللهوة: لهوة الرحا وهي الكف من الحب يلقى في فــم الرحــا. **يســتلونها**: يبتلعونها. **الجراجر**: البطون.

ففي هذه الأبيات يمدح حاتم الملك الجفني، راجياً إياه أن يتكرم بفك أسر أبناء قومه كما توسط لبني عبد شمس وابن جحدر في قوله [1]:

فَكَكْتُ عَـدِيّاً كُلَّهـا مِـنْ إِسـارِها فأَفْضِلْ وشَفِّعْنِي بقَيْسِ بـن جَحْـدَرِ

أَبُـوهُ أَبِـي، والأُمَّهـاتُ أُمَّهاتُنـا فأَنْعِمْ، فَدَتْكَ اليوم، قَوْمِي ومَعْشَـرِي

وقد استجاب النعمان الغساني لطلب حاتم، وأطلق سراح بني عبد شمس وابن جحدر إكراماً لحاتم. وسعياً لكسب محالفتهم وولائهم.

وكذلك حال علقمة الذي جاء إلى بلاط الغساسنة متوسطاً لفك أسر أخيه شأس وأبناء قومه التميميين، وقال قصيدته البائية المشهورة التي مطلعها [2]:

طحَابِكَ قلبُ في الحَسَانِ طَروبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حان مَشيبُ [3]

يُكلِّفُني ليلى وَقَدْ شطَّ وَلْيُها وَعَادَتْ عَوَادٍ بيننا وخُطُوبُ [4]

مُنَّعمَةٌ مَا يُسْتطاعُ كِلامُها عَلى بابِها من أَنْ تُزار رَقِيبُ

إذا غاب عَنْهَا البَعْلُ لم تُفْشِ سرَّهُ وَتُرْضى إِياب البعلِ حين يَئُوبُ [5]

---

[1] حاتم الطائي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٠.

[2] علقمة الفحل، **الديوان**، مصدر سابق، ص٣٣.

[3] **طحابك**: اتسع بك. **الطرب**: استخفاف القلب من حزن أو فرح.

[4] **يكلفني**: يدعوني. **شط وليها**: بعد العهد بها. **العوادي**: الشواغل، المواتع.

[5] **لم تفش سره**: أي هي محبة لبعلها لا تميل إلى غيره فتفشي سره.

بما أن الشعر هو ديوان العرب، ومن استعراضنا لما قيل من شعر في بلاط هـــاتين الدولتين، حاولنا ايضاح بعض الجوانب الأساسية للفترة التي حكم فيها المناذرة والغساسنة، فقد صور شعر تلك الفترة تقدمهم الحضاري من اتخاذهم القصور مساكن لهم، وتشجيعهم للحيـــاة الثقافية الشعرية بما بذلوه من أعطيات وصلات للشعراء، كما بين الشـــعر أيضـــاً تســـلطهم واستبدادهم للقبائل العربية في محاولة لإخضاعهم سياسياً وعسكرياً لنفوذ القوتين العظميـــين اللتين كان يدين لهما كل من هاتين الدولتين.

الفصل الثالث

صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي
دراسة فنية

أولاً: بنية النص الشعري

ثانياً: الصورة الفنية

ثالثاً: الملامح الأسلوبية

أولاً: بنية النص الشعري

يلحظ الناظر في القصيدة الجاهلية أنها تتكون من عدة عناصر هي أساس بنائها، والهيكل الرئيس لها، كما يلحظ أنها تعتمد على عناصر رئيسة لا يمكن الاستغناء عنها، وهذه الركائز هي: المقدمة، التخلص، والخاتمة، وغرض دراستنا هو تتبع هذه العناصر لدى شعراء إمارتي المناذرة والغساسنة.

المقدمة:

تعد مقدمة القصيدة من الظواهر البارزة في الشعر القديم، ومن اللافت للنظر أنها لم تكن ذات موضوع واحد. فقد تعددت المقدمات فإلى جانب المقدمات الغزلية والطللية، هناك مقدمات في التشبب والطيف وغيرهما، غير أن النقاد لم يعيروا اهتماماً إلا للمقدمتين الغزلية والطللية [١].

وقد اعتمد النقاد القصيدة الجاهلية أساساً واستمدوا منها قواعدهم وبنوا عليها أصولهم، إذ لم تخرج تعليقاتهم عن هذا الإطار، ويعد نص ابن قتيبة في هذا خير مثال إذ يقول: " سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ... فإذا علم إنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح، وفضله على الأشباه ..." [٢].

---

[١] انظر: يوسف حسين بكار، **بناء القصيدة العربية**، الطبعة الأولى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٧٨ وما بعدها.

[٢] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م، ج١، ص ص ٧٥-٧٦.

يتبين لنا من كلام ابن قتيبة أنه لا غنى للشاعر عن البدء بالمقدمة لقصيدته والتي تشتمل على الوقوف على الأطلال والغزل ووصف الرحلة، كما يوضح لنا أهمية المقدمة، فالأطلال ذكر لأهلها الظاعنين، والغزل استمالة للقلوب، فإذا علم الشاعر أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، انتقل إلى غرضه من القصيدة. وقد أكد ابن قتيبة ضرورة المقدمة الغزلية لجميع الأعمال الشعرية، في حين نجد أعمالاً تخلو منها ولا سيما قصائد الرثاء. وبما أن المقدمة في الشعر المتعلق بالمناذرة والغساسنة قد تميزت بنوع من المقدمة الجاهلية، فإن كلام ابن قتيبة لا يمس موضوعنا بشكل مباشر.

وسيظهر من خلال هذا المبحث أن شعراء البلاط اللخمي قد تنوعت مقدماتهم، نظراً لكثرة الشعر الذي قيل في ملوكهم، أما شعراء البلاط الغساني فقد انحصرت مقدماتهم بالمقدمة الطللية والغزلية والشكوى من الليل، لأن الشعر الذي قيل في المناذرة أكثر من الشعر الذي قيل في الغساسنة، ويرجع الدكتور عمر شرف الدين [١] السبب في ذلك إلى بعد ديار الغساسنة من مناطق الإبداع الشعري.

نظراً لما تقدم، فسوف نقوم بدراسة المقدمة عند شعراء اللخميين، ومن ثم المقدمة عن شعراء الغسانيين، فمن المقدمات الطللية مقدمات النابغة الذبياني، حين يذكر ما فعلته الأيام والأعوام بديار المحبوبة كما نراه على غير عادة الشعراء يحدد الزمن الذي انقضى على الديار بعد أن فارقها قاطنوها يقول [٢]:

عَفَا حُسَمٌ مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوَارِعُ ... فَجَنّبَا أَرِيكٍ فَالتِّلاعُ الدَّوَامِعُ [٣]

فَمُنْعَرَجُ الأَسْواق عَفَّى رُسُومَهَا ... مَصَايفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا ومَرَابِعُ [٤]

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ... لِسِتَّةِ أعْوَامٍ وَذَا العَامُ سَابِعُ

رَمَادٌ كَكُحْلِ العَيْنِ مَا إِنْ تُبِيْنُه ... ونؤى كَجِذْمِ الحوضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ [٥]

---

[١] انظر: عمر شرف الدين، **الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص١٥٨.

[٢] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٤٣.

[٣] **حسم**: اسم مكان. **فرتنا**: قيل اسم امرأة. **الفوارع**: جمع فارعة؛ أعلى الجبل. **جنبا أريك**: اسم موضع.

[٤] **فمنعرج الأسواق**: سايل الماء في الأرض صلبة.

[٥] **نؤى**: حفير حول الخيمة يمنع السيل. **جذم الحوض**: أصلة وباقية. **أثلم**: متكسر.

وفي قصيدة أخرى له يقف النابغة على الأطلال، لكنه يخاطبها بصيغة العاقل مستخدماً حرف النداء (يا) وهي من الصيغ التي استخدمت للاستهلال عند الوقوف على الطلل، والشاعر عندما يستخدم هذا الأسلوب يقصد منه لفت انتباه السامعين، وإثارة وجدانهم ويكون كل هذا تعبيراً عن مدى حبه لأصحاب الديار، يقول النابغة [١]:

يَا دَارَمَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنَدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الأبدِ [٢]

وَقَفتُ فيها أُصَيْلاناً أُسَائِلُهَا عَيَّتْ جَوَاباً وَمَا بِالرَّبعِ من أحَدِ

إلاّ أَوَارِيُّ لأْيَاً مَا أُبَيِّنُهَا والنُؤي كَالحَوضِ بالمظْلُومَةِ الجَلَدِ

ويرى الدكتور عمر شرف الدين أن شعراء البلاط اللخمي ابتعدوا عن المقدمات الطللية مستثنياً النابغة فيقول: " عزف أولئك الشعراء عن المقدمة الطللية عزوفاً شديداً. لقد انصرفوا عنها خلا النابغة الذبياني الذي احتوت قصائده في ظلال المناذرة على ثلاث مقدمات طللية " [٣].

ومن المقدمات الطللية الي قالها النابغة في المناذرة، تلك التي اعتذر بها للنعمان بن المنذر، إذ يقول فيها [٤]:

أَرسَمْاً جَدِيداً مِنْ سُعاد تَجَنَّبُ عَفَتْ رَوْضَةُ الأَجْدَادِ منها فَيَثْقَبُ [٥]

عفا آيَهُ ريحُ الجَنُوبِ مع الصَّبَا [٥]

وأَبْدَتْ سِواراً عَنْ وُشُومٍ كَأَنَّهَا واسْحَمُ دَانٍ مُزنُهُ مُتَصَوِّبُ [٦]

[٦]

بِقِيَّةُ أَلواحٍ عَليهِنَّ مُذْهَبُ

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص٢-٣.

[٢] **أقوت:** خلت من أهلها أقفرت.

[٣] عمر شرف الدين، **الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة**، مرجع سابق، ص ص ٩٢-٩٣.

[٤] النابغة الذبياني، **الديوان**، مرجع سابق، ص ٧٣.

[٥] **الأجداد:** خلائق تكون فيها المياه.

[٦] **أسحم:** سحاب أسود. **المتصوب:** المتدلي القريب من الأرض.

ومن الملاحظ على النابغة، أنه أولى مقدمات قصائده عناية خاصة- سواء أكانت طللية أم غير ذلك- ويظهر لنا ذلك جلياً قي مقدمة قصيدته اللامية التي مدح فيها عمرو بن الحارث الغساني. إذ أنه يعرض صوراً عدة للأطلال التي درست بفعل الرياح وعوامل الطبيعة وتعاقب الأزمان ومن هذه الصور ذكره لأسماء الأماكن، ووصف الحيوانات التي حلت بالمنطقة، يقول [١]:

أَهَاجَكَ من أسْمَاءَ رَسْمُ المَنَازِلِ بِبُرقَةَ نُعْيمىٍّ فَروَضْ الأَجَاوِلَ

أرَبَّتْ بِهَا الأَرواحُ حَتَّى كَأَنَّمَا تَهَادَيْنَ أَعْلى تُربِهَا بالمَنَاخِلِ [٢]

وَكُلُّ مُلِثٍّ مُكْفَهِرٍّ سَحَابُهُ كَمِيشِ التَّوالي مُرْثَعِنٍّ الأَسَافِلِ [٣]

إذَا رجَفَتْ فيه رَحاً مُرْجَحِنَّةٌ تَبَعَّجَ ثَجَّاجاً غَزِيرَ الحَوَافِلِ [٤]

عَهِدتُ بها حَيَّاً كراماً فَبُدِّلَتْ [٤]

خَنَاطِيلَ آرامِ الظِّبَاءِ المَطَافِلِ

ومن شعراء الغساسنة، الذين افتتحوا قصائدهم بمقدمة طللية المرقش الأكبر، إذ أنه يقف على ديار محبوبته، ويطرح عليها الأسئلة ولكن ما من مجيب، فيصور عفاء الديار وكيف اصبحت رسوماً كأنها نقش في ظهر الجلد- غير أن الدكتور عمر شرف الدين يرى أن المرقش لم يستوف مقومات المقدمة الطللية وصورها [٥]، يقول المرقش:

هل بِالدِّيارِ أن تُجيب صَمَمْ لَوْ كان رسْمٌ ناطقاً كلّمْ

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٦٥-٦٦.

[٢] **أربت**: لزمت وألحت فلم تبرح.

[٣] **ملث**: سحاب ممطر دائم. **مكفهر**: متراكب غليظ. **كميش التوالي**: ما يتلوه من السحاب الخفيف السريع. **المرثعن**: المسترخي.

[٤] **رجفت**: اضطربت. **مرجحنة**: ثقيلة كثيرة الغيم. **تبعج**: تشقق. **ثجاجاً**: صباباً. **الحوافل**: السحاب الكثير الماء.

[٥] عمر شرف الدين، **الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة**، مرجع سابق، ص ١٥٩.

الــدّار قَفْــرٌ والــرّسُــومُ كمـــا رقَّش فـــي ظهر الأديــم قَلَـــمْ [1]

دِيَـــارُ أَسْمَــاءَ التـــي تبَلَـــتْ قــلبي فــعيني مَـــاؤُهــا يسْجُـــمْ

أَضْحَــتْ خــلاء نبْتُهـــا ثئـــدٌ نــوَّر فيهـــا زهْـــوُهُ فــاعتـــم

ويعد حسّان بن ثابت أحد شعراء البلاط الغساني، وقد قدم هو الآخر لقصائده بمقدمات طللية، ومنها قصيدته اللامية التي مدح فيها آل جفنة عامةً، فتحدث عن ديار الغساسنة وأماكن سكناهم مشيراً إلى الدور الذي لعبته عوامل الطبيعة وتعاقب الأيام فيها، يقول [2]:

أسَــألتَ رَسْمَ الدّارِ أَمْ لَــمْ تَسْــأَلِ بينَ الجوابــي فــالبُضَيعِ فحَــوْمَــلِ

فــالمَرْجِ مَــرْجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاسِــمِ فَــدِيَــارِ سلمْــى دُرَّســاً لَــمْ تُحْــلَلِ

دِمَنٌ تَعَاقَبُهـــا الرّيـــاحُ دَوَارِسٌ والمُدْجِناتُ مــنَ السِّماكِ الأَعْــزَلِ [3]

والمثقب العبدي يفتتح قصيدته بالاستفهام الاستنكاري ويتساءل كيف لقلبه أن ينتهـــي عن التولع بالحبيبة، وكيف للدمع أن يتوقف، فعيونه تذرف الدمع على المحبوبة التي ارتحلت عن ديارها، يقول [4]:

---

[1] **الأديم:** الجلد. تبلت: أصلها تبل ومعناها: العداوة، تبلت قلبي كناية عن إخضاعها إياه. **ثئد:** الندى. **ذهــوه:** لونه من أبيض وأحمر.

[2] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص١٦٣

[3] **المدجنات:** الأمطار الكثيرة. **السماك:** السحاب.

[4] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٦٢-٦٤.

هَــلْ لِهــذا القَلْبِ سَمْعٌ أو بَصَــرْ أو تَنَــاهٍ عن حَبِيبٍ يُــدَّكــر

أَوْ لِدَمْــعٍ عــن سَفــاهٍ نِــهْيَــــةٌ تُمْتَرَى مِنْهُ أسابــيُّ الدِّرَرْ [١]

مُــرْمَعِــلاَّتٍ كَسِــــمْطَيْ لُــؤْلُــؤٍ خَــذَلَتْ أخْرَاتُــهُ، فيه مَغَــرْ [٢]

إنْ رأَى ظُعْنــاً لِلَيْــــلى غُــــدْوَةً قــد عَــلاَ الحَزْماءَ مِنْهُنَّ أُسَرْ [٣]

وللمثقب مقدمة غزلية أخرى استهل بها قصيدة مدح فيها المناذرة ومطلعها [٤]:

أَلاَ إنَّ هِنْــداً أمس رَثّ جَــدِيــدُهَا وضَنَّتْ وما كَــانَ المَتاعُ يَئُودُهَــا[٥]

فلَوْ أَنَّهَا مِنْ قَبْلُ جــادَتْ لَنَــا بِــهِ عَلَى العَهْد إِذْ تَصْطَادُنِي وأَصيدُهَــا

ولَكِنَّهَــا مِمَّــا تُمِيــطُ بِــوُدِّهــــا بَشَاشَةُ أَدْنَــى خُلَّـــةٍ تَسْتَفِيدُهَــا[٦]

ومن المقدمات الغزلية المميزة تلك التي افتتح بها الأعشى قصيدته التي قالها في مدح الأسود بن المنذر، يستنكر فيها الوقوف على الطلل البالي، رافضاً أن تكون الرياح التي أتــت على المكان رياح الصبا، وفي هذه المقدمة يمزج الأعشى بين مقدمتين الطللية والغزلية مزجاً رائعاً فنراه يقول[٧]:

مَــا بُكَــاءُ الكَبيرِ بــالأَطْـــلالِ، وَسُــؤالــي، فَهَلْ تَــرُدّ ســؤالــي؟

دِمنةٌ قَفــرَةٌ تَعــاوَرَهَا الصّيـــــ ــفُ بريحين مِــنْ صَبــاً وشَمَـــالِ

---

[١] **النهية:** الانتهاء. تمترى: تستخرج. **الأسابي:** طرائق الدمع وما سال منه.

[٢] **مرمعلات:** سائلات متتابعات، يقال: أرمعل دمعه؛ إذا سال. **السمط:** الخيط ما دام فيــه الحــزز. **خــذلت:** انقطعت. **أخراته:** الواحدة خرت والخر: الثقب. **فيه مغر:** فيه حمرة.

[٣] **الظعن:** جمع ظعينة؛ وهي المرأة في الهودج. **الحزماء:** الأرض الغليظة كثيرة الحجارة.

[٤] المثقب العبدي، **الديوان**، مرجع سابق، ص ص ٨٣-٨٥.

[٥] **رثّ:** الرث والرثة ردئ المتاع. **المتاع:** ما تمتعه به من سلام ونحو. **يئودها:** يثقلها.

[٦] **تميط:** تميل.

[٧] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص٥٣.

لات هَنّــا ذِكــرَى "جُبَــيرةَ" أوْمَــنْ جَــاءَ مِنْهَــا بطَائــفِ الأَهَــوالِ

حَــلَّ أهــلي بَطْنَ "الغميسِ" فبــادو لــي وحَــلَّتْ عُــلْويَّــةً بالسِّخــالِ

تــرتعي السَّفــحَ، فالكثْيبُ، فَذاقَــا رٍ، فَرَوْضَ القطا، فــذات الرِّئــالِ

وللشعراء في مدح الغساسنة قصائد جمة، استهلت بمقدمات مختلفة ومنهــا الغزليــة، وللأعشى في هذا المجال قصيدة دالية، قدم لها بمقدمة غزلية يقول فيها [١]:

أَتَرْحَلُ مِنْ ليلى، ولَمَّــا تَــزَوَّدِ؟ وكُنْتَ كَمَــنْ قَصَّى اللُّبَانَةَ مــن دَدِ[٢]

أرى سَفَهــاً بــالمَرْءِ تَعْليــقَ لُبِّــهِ بغَانِيَــةٍ خَــوْدٍ، متى تَــدْنُ تَبْعُــدِ [٣]

أَتَنْسَيْنَ أَيَّــامــاً لنــا بِــدُحَيْضَــةٍ [٣]

وبَيْدَاءَ تِيهٍ يَــلْعَبُ الآلُ فَــوْقَهَــا، وأيّامَنَــا بين البَــدِيِّ، فَــثَهْمَــدِ[٤]

إذا مَــا جَرَى، كالرَّازقيّ المُعَضَّــدِ [٥]

[٥]

وتختلف مقدمة الأعشى عن غيرها من المقدمات الغزلية التي قيلت في الغساســنة، إذ يتغزل بالمرأة ذاكراً محاسنها الجسدية من تمام الشباب واكتمال النمو، ويظهر هذا الاخــتلاف جلياً عندما ننظر لمقدمة علقمة الفحل، التي ابتعد فيها عن ذكر الأوصاف المادية للمرأة، بــل رفع مكانتها إلى درجة أنها لا تمس، فهي التي تحفظ غيبته في نفسها، مهما طال بعده عنهــا يجدها عند عودته على ما يجب من وفاء ومحبة، يقول [٦]:

---

[١] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

[٢] **اللبانة**: الحاجة. **الدد**: اللعب واللهو.

[٣] **لب المرء**: عقله. **الغانية** الخود: الشابة الحسناء.

[٤] **دحيضة**، البدي. **ثمهد**: اسماء مواضع.

[٥] **بيداء تيه**: الفلاة الواسعة التي يضيع بها السائر. **الآل**: السراب. **الرازقي**: الثــوب الأبــيض. **المعضــد**: الموشى عند العضد.

[٦] علقمة الفحل، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٣٣.

طحَابِـكَ قلبُ في الحَسانِ طَـروبُ بُعَيْـدَ الشَّبَـابِ عَصْرَ حان مَشيبُ [1]

يُكلِّفُني ليـلى وَقَـدْ شـطَّ وَلْيُهـا وَعَادَتْ عَـوَادٍ بيننـا وخُطُـوبُ [2]

مُنَّعمَـةُ مَـا يُسْتطـاعُ كِـلامُهـا عَلـى بـابِها مـن إنْ تُـزار رَقِيبُ

إذا غـاب عَنْهَا البَعْلُ لم تُفْشِ سرَّهُ وَتُرْضى إِياب البعلِ حيـن يئَـوبُ [3]

أما الرمق واسمه عبيد بن سالم بن مالك من الخزرج، في مقدمته لمقطوعة قالها في مدح آل جفنة، الذين خلصوا قومه من يهود المدينة، فإنه يصف النساء الحسان ويشبههن بالغزلان في رشاقتهن وجمالهن، وزاد هذا الجمال ما تأزرن به من حرير وديباج وتزين بجواهر ثمينة، فيقول [4]:

لم يقضِ في دنيك في الحسا ن وقد غنيت وقد غنينا

الراشقات المرشقا ت الجازيات بما جزينا

أمثال غزلان الصرا ئم يأتزرن ويرتدينا

الريط والديباج والز رد المضاعف والبرنيا

---

[1] **طحابك:** اتسع بك. **الطرب:** استخفاف القلب من حزن أو فرح.

[2] **يكلفني:** يدعوني. **شط وليها:** بعد العهد بها. **العوادي:** الشواغل، المواتع.

[3] **لم تفش سره:** أي هي محبة لبعلها لا تميل إلى غيره فتفشي سره.

[4] أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، مصدر سابق، ج٢٢، ص ص ١١٧-١١٨.

[5] المتلمس الضبعي، **الديوان**، مرجع سابق، ص ص ١٣٣-١٣٥.

إنَّ الحبيبَــةَ حُــبُّهَــا لــم يَنْفَــدَ واليأسَ يُسْلِي، لو سَلَوْتَ أخــا دد[1]

قــد طال مــا أَحبْبْتَها ووَدِدتُهــا لــو كَــانَ يُغْني عَنْك طُــولُ تَــوَدُّدِ

إنَّ العِــراقَ وأهَلــهُ كانُــوا الهَوَى فــإذا نــأَى بــي وُدُّهُــمْ فَــليْبَعْــدِ

ويضاف إلى المقدمة الطللية والمقدمة الغزلية، مقدمات أخرى استهل بها شعراء المناذرة والغساسنة قصائدهم- وإن كانت أقل من المقدمات الطللية والغزلية- إلا أنها شكلت طابعاً خاصاً فمنها شكوى الهم ومقدمة الظعائن ومقدمة العذل، ولأن النابغة الذبياني شاعر البلاطين وله نصيب الأسد- في القصائد التي قيلت في الإمارتين – بذكر مقدمة قصيدته البائية، والتي قالها مادحاً عمرو بن الحارث الغساني، ومصوراً شدة ما يعانيه من هم ونصب خصوصاً عندما يحل الليل عليه حيث تجتمع عليه الهموم من كل جانب، وقد عد النقاد هذه القصيدة من أحسن القصائد ابتداءً [2]، يقول النابغة الذبياني [3]:

كــليني لهَــمّ يا أُمَيْمَــةَ نَاصــبِ ولَيْــلٍ أُقَاسِيهِ بَطــيءِ الكَواكِــبِ [4]

وصَــدْرٍ أَراحَ اللَّيْلُ عــازِبَ هَمِّــهِ تَضاعَفَ فيهِ الحُزْنُ من كُلِّ جَانِبِ [5]

تَقَاعَسَ حتَّى قُلْــتُ لَيْسَ بِمُنْقَــضٍ وَلَيْــسَ الَّذي يَــرْعى النُجومَ بــآيبِ

وعند النظر في شعر اللخميين والغسانيين نجد أن الظعائن قلّ استخدامها في استفتاحات قصائدهم وربما يعود السبب في ذلك أن الشعراء توجهوا بهذا الشعر للملوك مادحين وهاجين ومعتذرين- وحسبما ترى الباحثة- فإن هذه المقدمة لم تتناسب مع مقام هؤلاء الملوك ولهذا فقد عزف عنها الشعراء. وكلامنا السابق على أنواع المقدمات لا يعني التزام شعراء البلاطين بها، بل على عكس ذلك ربما استغنى بعضهم عنها وولج إلى الموضوع مباشرة.

---

[1] **دد:** الهو.

[2] انظر: سعد سليمان حمودة، **لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص ١٢١ وما بعدها.

[3] النابغة الذبياني، **الديوان**، مرجع سابق، ص ص ٥٤-٥٥.

[4] **كليني:** دعيني. **ناصب:** من النصب وهو الهم.

[5] **أراح الليل عازب همه:** رد عليه الليل ما كان قد عزب من همه.

التخلص:

تعد الموضوعات من أهم الأمور التي امتازت بها القصيدة الجاهلية، فالشاعر ينتقل في قصيدته بين أكثر من موضوع حتى يصل إلى الغرض الرئيسي الذي من أجله نظم القصيدة. وحسن التخلص وسهولة الانتقال من موضوع إلى آخر من الأمور التي عني بها النقاد منذ القدم. فالقصيدة وحدة واحدة متماسكة، لا يجوز الانتقال المفاجئ بين مواضيعها، وأشار إلى ذلك ابن حجة بقوله: " حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً ودقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد " [١].

وللشعراء سبل ووسائل مختلفة للتخلص والانتقال من غرض لآخر من أغراض القصيدة، ولكل موضوع أو جزء في القصيدة أدواته الخاصة التي يستعملها الشاعر للربط بين الموضوعات والمحافظة على وحدة القصيدة، ومن هذه الأدوات ما هو عام مثل: (رب)، (وربّ)، ومنها ما هو خاص بالشعر موقوف عليه، وتستعمل للانتقال من الأطلال إلى وصف الرحلة والراحلة، ومن أمثلة هذه الصيغ (عد عن ذا) أو (دع ذا) أو (فعد) وغيرها من الصيغ. ومن أمثلة التخلص في الشعر اللخمي والغساني باستخدام صيغة (فعد)، قول النابغة في قصيدته الدالية والتي بدأها بالوقوف على الأطلال [٢]:

يا دَارَمَيَّةَ بالْعَلْيَاءِ فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطَالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

وقفتُ فيها أُصَيْلاناً أُسَائِلُها ... عَيَّتْ جواباً ومَا بالرَّبعِ من أَحَدِ

إلا أوارِيُّ لأيَاً مَا أُبَيِّنُهَا ... والنُّؤيُ كالحَوْضِ بالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ

فبعد أن يقف على أطلال الأحبة، ويذكر منازلهم، التي خلت إلا من الآثار الدارسة، نراه يخرج من هذا الموقف، ويتخلص إلى ما يروم من كلامه، متبعاً طريقاً آخرى في موضوع مختلف [٣]:

---

[١] ابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر (ت ٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الحديث، بيروت، د.ط، ص ١٤٩.

[٢] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢-٣.

[٣] المصدر نفسه، ص ٥.

فَعَدّ عَمَّـــا ترى إذ لا ارتْجـــاعَ لَـــهُ وانْمِ القُتُودَ عـــلى عَيْرانَـــةٍ أُجُـــدِ [١]

مَقْذُوفَةٍ بِـــدخَيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهـــا لَـــهُ صَرِيفٌ صَرِيُفَ القَعْوِ بالمَسَدِ [٢]

كأنَّ رَحْلي، وَقَد زَالَ النَّهـــارُ بِنـــا بِـــذِي الجَلِيلِ، عَـــلَى مُسْتَأنِسٍ وَجَـــدِ

ومن أمثلة التخلص المبتكرة التي يتميز بها الشعر اللخمي استخدام صـــيغة (إليـــك – أبيت اللعن) ما نجده في قصيدة الأعشى، فبعد مقدمة غزلية ذكر فيها ارتحال (ليلى) وانقطاع الود بينه وبينها بسبب تباعد المسافات، ينتقل إلى وصف الرحلة والراحلة دون الحاجـــة إلـــى استخدام صيغ معينة، حيث يقول [٣]:

قَطَعتُ بِصَهْبَاءِ السَّراةِ، شَمِلِّـــهٍ، مَرُوْحِ السُّرى والغِبِّ من كُلِّ مَسْأدِ [٤]

لكنه عندما ينتقل إلى الغرض الرئيسي من القصيدة وهو المدح، يستخدم صيغة تسهل عليه الانتقال، دونما احساس من السامع بهذا الانتقال يقول [٥]:

إليكَ – أَبَيْتَ اللّـــعنَ– كـــانَ كِلاَلُهـــا إلى المَاجِدِ الفَرْعِ الجَوَادِ المُحَمَّـــدِ [٦]

ومن أساليب التخلص من غرض إلى آخر، أسلوب يقوم على استخدام (قد)، ونجد هذا الأسلوب عند النابغة في قصيدته التي قالها معتذراً للنعمان بن المنذر، فاستهل قصيدته بـــذكر الديار والوقوف على أطلالها قائلاً [٧]:

---

[١] **القتود**: عيدان الرحل. **الأجد**: الموثقة الخلق من النوق.

[٢] **مقذوفة**: مرمية باللحم رمياً. **الدخيس**: الذي أدمج من كثرته وصلابته. **بازلها**: سنها التي بزلت، وبزلت: أي انشق نابها. **الصريف**: الصرير، وهو الفخولة من النشاط. **القعو**: البكرة. **المسد**: الحبل من ليف.

[٣] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

[٤] صهباء السراة: شدة الحر عند الظهيرة. الشملة: الناقة السريعة. المروح: النشيطة. المسأد: ســـير الليـــل بكامله.

[٥] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

[٦] **كلالها**: ارهاقها.

[٧] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٤٢–٤٣.

عَفَــا حُسَمٌ مِنْ فَرْتنَــا فــالفَوارِعُ فَجَنبــا أَريــكٍ فــالتَّــلاعُ الــدوافــع

فمنعــرج الأسواق عُفَّى رسُومُهَــا مَصايــفُ مَــرَّتْ بَعْدَنــا وَمَــرابــعُ

تَوَهَّمْــتُ آيــاتٍ لَهــا فَعَــرَفْتُهــا لِستَّــةِ أَعْــوامٍ وَذَا الــعــامُ سَابِــعُ

ثم انتقل بعد هذه الصورة التي رسمها، الديار والأحبة، إلى تصوير وضــعه النفســي بسبب توعد النعمان له، موضحاً أنه لم يفعل شيئاً يستحق هذا الوعيد، فيقول [١]:

وقَــدْ حَــالَ هَمــٌّ دُونَ ذلكَ داخِــلٌ دُخُــولَ الشَّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأصابِــعُ [٢]

وَعِيدُ أَبي قَابُوسَ في غَيْــرِ كُنْهِــهِ أَتَاني وَدُونِي راكِسٌ فــالضَّواجِــعُ [٣]

[٣]

ويستخدم الأعشى أسلوباً آخر للتخلص، فيذكر في مستهل قصيدته انقطاع الود بينــه وبين جيرانه وارتحالهم عن مرابعهم فيقول [٤]:

أَذِنَ اليَــوْمَ جــيْرَتَــي بــحُفُــوفِ، صَــرَمُــوا حَبْــلَ آلِــفٍ مَأْلُــوفِ [٥]

وَاسْتَقَلَّتْ عَــلى الجِمَــالِ حُــدُوجٌ [٥]

كُــلُّهــا فــوقَ بــازلٍ موقــوفِ [٦]

---

[١] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدرسابق، ص ٤٥.

[٢] **الشفاف**: القلب. **تبتغيه الأصابع**: تلتمسه.

[٣] **في غير كنهه**: في غير موضعه ولا استحقاقه. **الضواجع**: واحدها ضاجعة، وهي منحى الوادي.

[٤] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص٣٦٣.

[٥] **الحفوف**: الزوال والرحيل. **صرموا جبل الألفة**: قطعوا ما كان من مودة.

[٦] **الحدوج**: واحدها حدج وهو المركب الذي تجلس عليه المرأة فوق البعير. **البازل**: البعير الذي له ظهران. **موقوف**: الواقف المستعد للرحيل.

ثم يعلل نفسه طالباً منها توديع الذكريات مستخدماً في هذا النوع من التخلص صـــيغة (ودع) قائلاً [1]:

وَدَعِ الذِّكْرَ مِنْ عَشَائي، فمـــا يُـــدْ رِيـــكَ مَـــا قُـــوَّتي ومـــا تَصْرِيفـــي

قَـــدْ لَعِبْنَـــا بـــذَا الشَّبابِ زَمَـــانـــاً ولَهَـــوْنَا فـــي مَـــرْبَـــعٍ وَمَصِيـــفِ

وَصَحْبِنَـــا مِـــنْ "آلِ جَفْنَـــةَ" أَمْـــلا كـــاً كِـــرَاماً بـــالشَّام ذَاتِ الـــرَّفيـــفِ

وفي كثير من الأحيان، يقصر الشاعر قصيدته على غرض واحد، فلا يحتـــاج إلـــى المقدمة والتخلص، فالتخلص تدعو إليه المقدمة فإذا خلا العمل الشعري من مقدمـــة، اســـتغنى الشاعر عن استخدام صيغ التخلص بكافة أنواعها.

---

[1] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص٣٦٣.

الخاتمة "خواتيم القصائد":

تكتسب خاتمة القصيدة أهميتها من حيث كونها آخر ما يقع في ذهن السامع والمتلقي، فهي قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى في الأذهان، وقد عني بها الشعراء عنايتهم بالمقدمة.

وقد التفت النقاد لأهمية الخاتمة، فهذا ابن رشيق يقول : " وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر مايبقى في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه " [١].

لقد اهتم شعراء البلاطين اللخمي والغساني بخواتيم قصائدهم، إدراكاً منهم لأهميتها، فجاءت الخواتيم مناسبة لموضوعات قصائدهم، كقول المثقب العبدي في خاتمة قصيدته التي مدح فيها عمرو بن هند [٢]:

ولقد رَامُوا بِسَعْيٍ ناقصٍ كَيْ يُزِيلُوه، فأعْيَا وأَبَرْ [٣]

ولقد أوْدَى بِمَنْ أودى به عَيْشُ دَهْرٍ كانَ حُلْواً فأَمَرّ [٤]

وهذا النابغة الذبياني، يختم قصيدته الدالية التي قالها معتذراً للنعمان بن المنذر بعدما وشى به الواشون، فيقول [٥]:

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قابَوسَ أَوْعَدنَي وَلاَ قرارَ عَلى زأرٍ مِنَ الأَسدِ

ها إنَّ تَا عِذْرَةٌ إلاَّ تكن نَفَعَتْ فإنَّ صاحبها قَدْتَاه في البَلَدِ [٦]

---

[١] ابن رشيق، **العمده**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٨.

[٢] المثقب العبدي، **الديوان**، مصر سابق، ص ٨١.

[٣] **أعيا**: أعجز. **أجر**: أي غلب.

[٤] **أودى به**: أهلكه. **أمر**: أصبح مراً.

[٥] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٢٥-٢٦.

[٦] **عذرة**: معذرة

ونلاحظ أن كلام ابن رشيق ينطبق على خواتيم القصائد التي عرضنا، فلا يمكن الزيادة عليها، ولا يأتي أحسن منها، ومن هذه الخواتيم خاتمة قصيدة النابغة الذبياني في مدح آل جفنة – كليني لهم – يقول [1]:

وَلاَ يَحْسِبُونَ الخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ ولا يَحْسِبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لازِبِ

حَبَوتٌ بهـا غَسَّان إذ كُنْتُ لاَحِقـاً بِقَومِي وَإِذْ أَعيَتْ عَليَّ مَذَاهِبِي

وحين لحق المتلمس الضبعي بالشام هارباً من عمرو بن هند ومحرضاً قومه على الطلب بدمه، فإن خاتمة القصيدة جاءت مناسبة لموضوعها ومعبرة عن مجمل فحواها، يقول المتلمس [2]:

أَبَنِي قِلابَةَ؛ لم تَكُنْ عادَاتُكُمْ أَخْذَ الدَّنِيَّةِ قَبْلَ خُطَّةِ مِعْضَدِ

لَنْ يَرحضَ السَّوءات عن أَحسابِكُمْ نَعَمُ الحَواثرِ إذْ تُساقُ لَمعْبَدِ [3]

فالعَبْدُ عَبْدُكُمُ اقْتُلُوا بأخِيكُمُ كالعَيْر أعْرَض جَنْبَهُ للمِطْرَدِ [4]

ومن خلال دراستنا لبنية القصيدة لدى شعراء المناذرة والغساسنة، واستعراضنا لمقدمات قصائدهم، والأساليب المتبعة في التخلص وفي خواتيم قصائد – نلاحظ أن مقدماتهم تأرجحت بين الطويلة والقصيرة كما أن اللوحات والصور والمشاهد التي رسموها – متنوعة نسبياً– مقارنة مع غيرهم من الشعراء، وقد أضافوا ألفاظاً جديدة لم تذكر سابقاً مثل (أبيت اللعن)، فيما عدا ذلك فإنهم اتبعوا نهج القصيدة الجاهلية السائد، فالتزموا بما عرف في زمانهم من تقاليد شعرية وفنية. ولأن الفئة التي يتوجهون إليها بشعرهم فئة مميزة، فقد تميزت أشعارهم بالمغالاة عند المدح، والاقذاع عند الذم، لأن العلاقة بين الشاعر والملك أخذت شكلين، الأول: التودد للملك طمعاً في التكسب المادي، والثاني: التمرد على السياسة التي اتبعها الملك لما فيها من تسلط وإذلال.

---

[1] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٦٤.

[2] المتلمس الضبعي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٤٩–١٥٢.

[3] **يرحض**: يغسل. **الحواثر**: بطن من عبد القيس وهم بنو حثرة.

[4] **العير**: الحمار الوحشي. **المطرد**: رمح قصير تطعن به حمر الوحش .

اللغة:

تعد اللغة المادة الرئيسية لتشكيل العمل الأدبي، فهي الأداة التي يستخدمها الشاعر في تشكيل لوحاته الفنية، وصوره الشعرية، والتي من خلالها يعبر عن عواطفه ومشاعره. وبناءً على هذا المفهوم للغة، وإدراك النقاد لأهميتها، فقد وضعوا بعض المقاييس التي يجب على الأديب مراعاتها، ويهمنا في هذا المجال القواعد التي يجب على الشاعر الالتزام بها، ومنها أن تكون المفردات دقيقة، سهلة، بعيدة عن اللغات النادرة عند العرب، وعن السوقية والابتذال بين الحروف [١].

وشعراء البلاط اللخمي والغساني، شعراء العصر الجاهلي وألفاظهم ومفرداتهم نتاج حياتهم وبيئتهم، وإن كان لشعرهم بعض الخصوصية، فالسبب عائد إلى من توجهوا إليهم بقصائدهم. غير أن السمة العامة لشعرهم هي سمة العصر الذي عاشوا فيه.

فإذا عقدنا مقارنة بين قصائد الشاعر الواحد منهم، لاحظنا تقارب الأسلوب في الطرح، وقد نجد تكراراً لبعض الألفاظ لدى الشاعر نفسه في قصائد متعددة أو في القصيدة الواحدة. غير أنهم فطنوا لضرورة الإنسجام بين اللغة والموضوع المطروق، فأسلوب المدح يحتاج إلى لغة مفردات تختلف عن أسلوب الهجاء أو الوصف أو الرثاء ... وما إلى ذلك من مواضيع، ففي المدح نرى لغة قوية، يشعر بها القارئ والمستمع على حد سواء ومن ذلك مدح الأعشى للنعمان بن المنذر [٢]:

إليكَ ،أَبَيْتَ اللّعنَ، كان كِلاُلُها ... إلى الماجد الفرع الجواد المُحَمَّدِ

إلى مَلِكٍ لا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ، ... خَروُجٍ تُروكٍ، للفراشِ المُمَهَّدِ

طَويلِ نِجادِ السَّيفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ ... نِيَامَ القَطَا باللَّيْلِ في كُلِّ مَهْجَدِ

فَما وَجَدتْكَ الحَرْبُ، إذْ فُرَّ نابُها، ... على الأمْرِ نَعّاساً عَلى كُلِّ مَرْقَدِ

وَلَكِنْ يَشُبُّ الحَرْبَ أَدْنى صُلاتِها ... إذا حَرَّكُوهُ حَشَّها غيرِ مُبْرِدِ

لَعَمْرُ الذي حَجَّت قُرَيشٌ قطينَهُ ... لقد كِدْتَهُمْ كَيْدَ إمرئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ

---

[١] خليل إبراهيم عطية، **التركيب اللغوي لشعر السياب**، دار الحرية، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٤.

[٢] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٨٩-١٩١.

أما إذا كان الحديث عن الحرب والمعركة، فإن الألفاظ تتسم بالجزالة والقوة، وترتفع النبرة، حتى يشعر بها المستمع، وتتناسب قوة الألفاظ وارتفاع نبرتها تناسباً طردياً مع الموقف والصورة المراد رسمها، ففي القصيدة نفسها يصور الأعشى الحرب قائلاً [1]:

كَأَنَّ ثِيَابَ القَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ، تَبَابِيُن أَنباطٍ لَدَى جَنْبِ مُحْصَدِ

رَأَى ضَوْءَ نارٍ بَعْدَمَا طَافَ طَوْفَةً يُضِئُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلٍ وَغَرْقَدِ

فيا فَرَحَا بالنَّارِ إذ يَهْتَدى بها إليْهِمُ وإضْرَامِ السَّعِيرِ المُوقَّدِ

فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِم، وَطَارُوا سِرَاعاً بالسِّلاحِ المُعَتَّدِ

أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ الحَيَاةِ فَأَدْبَرُوا وَمَرْجَاةُ نَفْسِ المَرْءِ ما في غدٍ غَدِ

فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يلاقي رَهِينَةً قَليلَ المَسَاكِ عِنْدَهُ غيرِ مُفْتَدِي

ولا يختلف الأمر كثيراً عند تحولهم للفخر والتغني بالأمجاد والمآثر، فإن الألفاظ تتسم بالقوة والفخامة، والاعتزاز يبدو ظاهراً في التراكيب المستخدمة، ومن ذلك قول حسّان بن ثابت متفاخراً بنسبه لآل جفنة [2]:

ألمْ تَرَنا أوْلادَ عَمرِو بن عامرٍ، لنا شَرَفُ يعلو على كُلّ مُرْتقي [3]

رَسَا في قرار الأرض ثمْ سَمتْ لهُ فُروعٌ تُسامي كلَّ نجمٍ مُحلِّق

مُلُوكٌ وَأبناءُ الملوكِ، كأنَّنَا سَوَاري نُجوم طالِعاتٍ بمشرق

إذا غابَ منها كوْكبٌ لاحَ بعدَهُ شِهابٌ متى ما يبْدُ للأرْض تشرق

أما في الرثاء، فترق الألفاظ، ويمتزج البكاء بذكرى مآثر الفقيد، وقد يبالغ الشاعر في رسم صورة الفقيد، فالملك العظيم الجبار تصبح صورته حزينة، تثير الشفقة. فهذا زهير يرثي

---

[1] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٩١.

[2] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٥١.

[3] **عمرو بن عامر:** هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء.

النعمان بن المنذر – وقد قتل على يد كسرى– ويصور كيف تجافاه النـــاس وتحـــاموه ولـــم ينصروه، مع أن له عليهم كل يد بيضاء، يقول [١]:

ألـــمْ تَـــرَ للنّعمانِ، كـــان بِنَجْـــوَةٍ مِـــنَ الشَّرّ، لو أنَّ أمراً كـــانَ ناجِيـــا

فَغَيّر منْـــهُ مُـــلْكَ عِشرِيـــنَ حِجَّـــةً من الدّهرِ، يـــوْمٌ واحدٌ كـــانَ غاوِيَـــا

فلَمْ أَرَ مَسلوبـــاً، لَـــهُ مثلُ مُلْـــكِـــهِ أقَـــلَّ صَديقـــاً بـــاذلاً، أو مـــؤاسِيَـــا

فـــأينَ الذيـــنَ كـــانَ يعطي جِيـــادَهُ بـــأرْسانِهِـــنَّ، والحِسَـــانَ الغَوَالِيَـــا

وأينَ الذيـــنَ كـــان يُعطيهِمُ القُـــرَى بغـــلاّتِهِـــنَّ، والمئِيـــنَ الغَـــوادِيَـــا

والمستقرئ للقصائد التي قيلت في المناذرة والغساسنة، يلحظ أن لغتها سهلة وواضحة، خالية من الشارد والغريب والحوشي؛ ويعد ذلك انعكاساً للبيئة الاجتماعية المحيطة ولعل أكثر مواطن الغريب في شعرهم يوجد عندما يصفون الرحلة والراحلة، وهي مواضيع تناسبها مثل هذه الألفاظ، ومن ذلك قول الأعشى في وصف ناقته التي أوصلته إلى ممدوحه النعمـــان بـــن المنذر [٢]:

وبيـــداء تِيـــهٍ يَـــلْعَبُ الآلُ فَوْقَهَـــا إذا مَا جَرَى، كالرَّازقيّ المُعَضَّـــدِ [٣]

قَطَعْـــتُ بصَهْبَـــاء السَّرَاةِ، شَمِلَّـــةٍ مَرُوح السُّرى والغِبَّ من كُلَّ مَسْأَدِ [٤]

بَنَاهَا السَّوَادِيُّ الرَّضِيْخُ مَعَ الخَلَى، وَسَقْيي وَإِطْعَامِي الشَّعِيْرِ بِمَحْفَـــدِ [٥]

وهذا النابغة الدبياني يصف ناقته القوية النشيطة التي تعينه على ارتحاله، وقد استعمل لهذا الوصف ألفاظاً غريبة لا يمكن للقارئ ادراكها إلا عند العودة إلى المعاجم، يقول [٦]:

فَعَـــدِّ عَمَّا تَـــرَى إذْ لا ارتُجاعَ لَـــهُ وانْـــمِ القُتُودَ عَلى عَيْـــرانَةٍ أُجُـــدِ [٧]

---

[١] زهير بن أبي سلمى، **الديوان**، تحقيق: حجر عاصي، الطبعة الثانية، دار الفكـــر العربـــي، ١٩٩٨، ص ١٤١.

[٢] الأعشى، **الديوان**، مصدرسابق، ص ٢٣٩.

[٣] **الآل**: السراب. **الرازقي**: الثوب الأبيض. **المعضد**: الموشى عند العضد.

[٤] صهباء السراة: شدة الحر عند الظهيرة. الشملة: الناقة السريعة. المروح: النشيطة. المسأد: السير طـــوال الليل.

[٥] **السوادي**: بزر التمر. **الرضيخ**: المكسور. **الخلي**: الحشيش. **المحفد**: نوع من العلف تأكله الدواب.

[٦] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ٥-٦.

مَقْــذُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهَــا [١]

لَهُ صَرِيفٌ صَرِيُفَ القَعْوِ بالمَسَــدِ [٢]

كما نجد بعض الألفاظ الغريبة في شعر الهجاء، فالشاعر عندما يهجو يختــار أكثــر الألفاظ غرابة وإقذاعاً للتعبير عن مشاعر السخط والغضب تجاه المهجو، ومن ذلك ما هجا به طرفة الملك عمرو بن هند [٣]:

فــليتَ لــنــا، مكانَ الملك عَمْــروٍ رَغُــوثــاً، حَــولَ قُبّتِنــا تَخــورُ [٤]

مــن الــزَّمــراتِ، أسْبَلَ قادِماهــا [٤]

يُشــارِكُنــا لــنــا رَخِــلانِ فيهــا وضــرتــهــا، مُــركَّــنَــةٌ دَرُورُ [٥]

[٥]

وتَعْلُوهــا الكِبــاش، فمــا تَنُــورُ [٦]

[٦]

ومما يجب الإشارة إليه، أن تلك الألفاظ وإن بدت غريبة بالنسبة لنا، إلا أنهــا كانــت مألوفة لأهل ذلك العصر. وعدا ذلك فإن السمة الغالبة على ألفاظ شعراء البلاطين هي السهولة والوضوح و لا يسمح المقام باستقصاء أمثلة ذلك لأنها كثيرة.

---

[١] **انم:** أرفع. **القتود:** عيدان الرحل. **عيرانه:** الناقة الصلبة القوية. **الأجد:** الموثقة الخلق من النوق.

[٢] **الرخيس:** الشيء الذي أدمج من كثرته وصلابته. **النحض:** اللحم. **بازلها:** سنها. **صريف:** صرير. **القعــو:** البكرة التي يدور فيها المحور إذا كان من خشب. **المسد:** الحبل من ليف.

[٣] طرفة بن العبد، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١٠٨-١٠٩.

[٤] **الرغوث:** النعجة التي ترضع.

[٥] **الزمرات:** مفردها الزمرة، وهي النعجة القليلة الصوف التي يكثر لبنها. **قادماها:** أذناها.

[٦] **الرخلان:** مثنى الرخل، وهي ابنة الظأن. **تنور:** تبتعد.

ثانياً: الصورة الفنية

إن البحث في الصورة الفنية معقد لكثرة الآراء المتضاربة حولها، وهي وإن كانت من أهم مقومات العمل الأدبي، فإن مفهومها يختلف من ناقد إلى آخر، ويعد الجاحظ أول من أشار إليها بشكل غير مباشر وذلك عندما تناول قضية اللفظ والمعنى يقول: " والمعاني مطروحة في الطريق ... وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير" [١]. واهتم من جاء جاء بعده من نقاد بهذه القضية، ولكنهم لم يتوصلوا إلى مفهوم واضح يعتمدونه. فظلت محدودة ونظرتهم حيالها عامة [٢].

أما اهتمام النقاد فيها في العصر الحديث، فإنه يفوق اهتمام النقاد القدامى، إذ تحدثوا عنها مطولاً، وألفوا فيها العديد من الكتب؛ فعرفوها تعريفات شتى وتحدثوا عن أهميتها. يرى الدكتور عبد القادر الرباعي في كتابه (الصورة الفنية) أن الدراسات أجمعت على أن الصورة بالمفهوم الفني لها: " أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن " [٣]. ويذكر الدكتور الرباعي أن هذا المفهوم هوالمفهوم العام للصورة، أما في المجال التفصيلي للصورة: " تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو المقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهر وآخر باطنس، وأن جمال ذلك التناسب أوالمقارنة، يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة ".

ويتبين لنا من تعريف الدكتور عبد القادر الرباعي أن هدف الصورة الفنية تحريك الوجدان وامتاع النفس وذلك عن طريق التعبير الذهني والوجداني. وقد سلك الشاعر في اظهاره وتوضيحه للصورة أنماطاً بلاغية عدة مثل الاستعارة، والتشبية، والمجاز، والصور الفنية في الشعر الجاهلي عامةً اتخذت شكلين أساسين؛ الصورة الرمزية متمثلة بالوقوف على الإطلال، ووصف الراحلة ووصف المرأة، والصورة البلاغية التي اتخذت أشكالاً كثيرة سنعرض لها. وبما أن شعراء المناذرة والغساسنة هم شعراء العصر الجاهلي فإن قصائدهم اعتمدت هذه الصورة، وستعرض الباحثة للصور الرمزية باعتبارها مقدمات القصائد.

---

[١] الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ١٣١-١٣٢.

[٢] للاستزادة: ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، مصدر سابق، ص ٣٣.

[٣] عبد القادر الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، اربد، الأردن، ص ص ٨٥-٨٦.

فالهيكل العام للقصيدة الجاهلية معروف ويتمثل في الوقوف على الطلل، ثم وصف الرحلة والراحلة وثم التخلص إلى الغرض الرئيس من مدح أو هجاء أو رثاء أو اعتذار، ونلاحظ في بعض القصائد أن الشاعر استخدم صورة الطلل رمزاً يربطه بالموضوع العام للقصيدة، فتخرج القصيدة في وحدة عضوية تمثل الرؤية التي يرمي إليها الشاعر [١]، ومن أمثلة ذلك قول النابغة الذبياني يرثي النعمان بن الحارث الغساني [٢]:

دَعَاكَ الهَوَى واسْتَجْهَلَتْكَ المَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي المَرْءِ والشَّيْبُ شَامِلُ

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الدَّارِ قَدْ غَيَّرَ البِلَى مَعَالِمَهُ والسَّارِيَاتُ الْهَوَاطِلُ [٣]

أُسَائِلُ عَنْ سُعْدَى وقد مَرَّ دُونَهَا عَلَى حُجُرَاتِ الدَّارِ سَبْعٌ كوامِلُ

وقد استطاع النابغة أن يوظف الطلل لخدمة السياق العام للقصيدة وهو الرثاء وذلك من استخدامه لـ (دعاك الهوى) ... (والشيب شامل) فهو يخاطب نفسه قائلاً: دعاك هواك إلى أن قمت هذا المقام فاستجهلتك المنازل لما حل بها من خراب، فالشاعر عاصر الملك النعمان، وها هو الملك يطويه الموت، والشاعر لا يزال حياً ولكن الشيب غزا شعره وكأنه بوقوفه على الطلل يذكر نفسه بتقدم السن، وقرب المنية، وقد يكون الشاعر قد جاء بهذه المقدمة عن قصد ليوظفها في خدمة غرضه الرئيس وهو رثاء الملك الغساني. فبعد هذه المقدمة ووصفه للرحلة يقول [٤]:

لَعَمْرُ بني البَرْشَاءِ قيسٍ وذُهْلِهَا وَشَيْبَانَ حيث اسْتَبْهَلَتْها السَّواحِلُ [٥]

لَقَدْ سَرَّها ما غَالني وَتَقَطَّعَت لِرَوْعاتِهِ منِّي العُرَا والوَسَائِلُ [٦]

فَلاَ يَهْنَئِ الأَعداءَ مَصْرَعُ رَبِّهِمْ ولا عتقت مِنهُ تَميمٌ وَوَائِلُ [١]

---

[١] ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، مرجع سابق، ص ٢٧.

[٢] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١١٣.

[٣] **السارِيات**: الأمطار التي تسري ليلاً.

[٤] النابغة البياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ص ١١٥-١١٦.

[٥] **البرشاء**: أم ذهل وشيبان وقيس بني ثعلبة. **استبهلتها**: أي صاروا مبهلين لا يخافون ملكاً من ملوك الحيرة.

[٦] **غالني**: أهلكني من موت النعمان بن منذر الغساني.

وقد وظفت صورة الناقة توظيفاً رمزياً في شعر شعراء المناذرة والغساسنة، فنرى الناقة عند الأعشى نشيطة وسريعة، توصله إلى ممدوحه وقد قطعت الفلاة الواسعة، كما أنها قوية صلبة صبورة تتحمل هجير الصحراء، تسير الليل بأكمله دونما كلل أو تعب [٢]:

قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ، شَمِلَّةٍ، مَرُوْحِ السُّرى والغِبِّ مِنْ كُفِّ مَسْأَدِ

بَنَاهَا السَّوَادِيُّ الرَّضِيْخُ مع الخَلَي، وَسَقيي وإِطعامِي الشَّعِيْرَ بِمَحْفَدِ

لَدَى ابن يَزِيدِ أولَدَى ابن مُعَرِّفٍ يَفُتُّ لَهَا طَوْراً وطَوْراً بِمَقْلَدِ

فَأَضْحَتْ كَبُنْيَانِ التَّهَامِيِّ شَادَهُ بِطِينٍ وَجَيَّارٍ، وَكِلسٍ وَقَرمَدِ

وبعد هذا الوصف لبنيان الناقة وقوتها وسرعتها يبين أنها قطعت هذه المسافات بسرعة أدت إلى إرهاقها لتصل إلى النعمان بأسرع وقت ممكن. يقول [٣]:

إِليكَ- أَبَيْتَ اللعن- كَانَ كِلاَلُهَا إلى المَاجِدِ الفَرْعِ الجَوَادِ المُحَمَّدِ

ومن الصورة البلاغية القائمة على التشبيه صورة الطيور التي تحلق فوق جيش الغساسنة، حيث شبه الطير وبياض ريشها بالشيوخ في فراء من جلود الأرانب، يقول النابغة [٤]:

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ زوراً عيونها جُلُوسَ الشُّيوخِ في مُسُوكِ أرانِبِ

---

[١] **ربهم**: صاحبهم وعنى النعمان. **عتقت**: نجت، يريد أن النعمان أعتق تميم من الرق.

[٢] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٩.

[٤] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٩.

ومن تلك الصور صورة البعير الأجرب التي استعارها النابغة لنفسه في إحدى اعتذارياته للنعمان بن المنذر، وهي صورة معبرة استطاع النابغة من خلالها توضيح الحالة النفسية التي يمر بها بسبب غضب النعمان عليه [1]:

فلا تَتْرُكَنّي بالوَعِيدِ كأَنَّني إلى النَّاسِ مطلي بِهِ القَارُ أجْرَبُ

ومنها أيضاً تشبيه الممدوح بالأسد الضاري، يقول النابغة [2]:

نُبِّئت أَنَّ أَبا قابُوسَ أوعدني ولا قرارَ عَلى زَأرٍ مِنَ الأسدِ

ومن خلال هذا العرض لبعض الصور الفنية والبلاغية، نلحظ اهتمام شعراء البلاطين بالصورة الفنية، من حيث كونها واحدة من أهم مقومات العمل الشعري.

---

[1] المصدر نفسه، ص ٧٨.

[2] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٥.

ثالثاً: الملامح الأسلوبية

حين درس النقاد القصيدة تناولوها من جميع جوانبها تعريفاً وايضاحاً، ومما عنوا بـــه تعريف الأسلوب من حيث كونه واحداً من العناصر الأساسية التي لا يمكن الاستغناء عنها في العمل الأدبي.

فقد عرفه ابن رشيق بأنه: " حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل (أو أقل) وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع ... " [١]. أما فتح الله سليمان فيرى أن الأسلوب هو: " تعبير عن شخصية منشئه وانعكاس لها " [٢].

والاستغراق في الكلام عن الأسلوب لا يعنينا في هذا المقام، إذ إن مقصد دراستنا هو النظر في الشعر الذي قيل في المناذرة والغساسنة، وتبيين بعض ملامحه الأسلوبية التي تميز بها شعرهم.

يلحظ المتتبع لشعر المناذرة والغساسنة شيوع كثير من الأساليب التي عرفها الشـــعر الجاهلي عموماً ومنها أسلوب النداء، والاستفهام، والتقديم والتأخير، ومن أمثلة النـــداء قـــول النابغة الذبياني [٣]:

يـــا دَارَمَيَّة بالعَلْيـــاءِ فـــالسَّنَـــدِ أَقْوَتْ وطـــال عليهـــا سالِـــفُ الأَبَـــدِ

ومن الأساليب التي نجدها شائعة في شعر المناذرة والغساسنة أسلوب الأستفهام وهـــو غالباً ما يكون استفهاماً استنكارياً، تفرضه حالة الشاعر النفسية، كما يهـــدف مـــن اســـتخدام الاستفهام الاستنكاري لفت انتباه السامع، فحدته تستجلب الاسماع، ومن أمثلـــة ذلـــك قـــــول الأعشى [٤]:

---

[١] ابن رشيق، **العمدة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٢٠.

[٢] فتح الله سليمان، **الأسلوبية: مدحل نظري ودراسة تطبيقية**، الطبعة الأولى، الدار الفنية للنشر والتوزيـــع، د.ت، ص ١٤.

[٣] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢.

[٤] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

أترحــل مــن ليلــى ولَمَّــا تَــزَوَّدِ وكُنْتَ كَمَــنْ قَضَّى اللُّبانَــةَ مــن د دِ

وكذلك قول حسان بن ثابت [١]:

اسَــألتَ رَسْمَ الــدّارِ أمْ لَــمْ تَسْألِ بينَ الجوابي، فــالبُضيــعِ، فحَومــلِ

وقول طرفة بن العبد [٢]:

أَعَمْرَو بنَ هِندٍ ما ترى رأي صِرمةٍ لها سببٌ ترعى به الماءَ والشّجَرْ [٣]

ومن الاستفهام ما يأتي بغرض تأكيد معنى يريده الشاعر، فيأتي الاســتفهام لتقريــر حقيقة معينة، كقول حسان بن ثابت [٤]:

ألم تَرَنا أوْلادَ عَمرِو بــنِ عامــرٍ، لَنــا شَــرَفٌ يعلو على كــلِّ مُــرْتقي

ومن ذلك أيضاً قول النابغة [٥]:

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْــرَو بَــنْ هِنْــدٍ آيــةً وَمِــنَ النَّصيحَــةِ كَــثْــرَةُ الإِعْــذارِ

ومن أمثلة التقديم والتأخير ثول النابغة الذبياني في مدحه النعمان بن المنذر [٦]:

أَعْطَــى لفارِهَــةٍ حُلــوٍ تَوَابِعُهــا مِن المواهِب لا تُعْطَــى علــى حَسَــدِ

فالأصل في التركيب هو المبتدأ والخبر (توابعها حلوة) ولكن النابغة قدم الخبر علــى المبتدأ (حلوٌ توابعها) لرسم الصورة التي يجب أن تكون عليها أعطيات الملك.

---

[١] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٣.

[٢] طرفة بن العبد، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٣٧.

[٣] **الصرمة**: القطعة من الأبل.

[٤] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٥١.

[٥] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٢٨.

[٦] المصدر نفسه، ص ١٦.

ومن أمثلة التقديم والتأخير أيضاً قول النابغة في مدح الحارث الغساني [1]:

وصَدْرٍ أراحَ اللّيــلُ عــازِبَ هَمِّــه تَضاعَفَ فيه الحُزْنُ مِنْ كــل جانِــب

فقدم الصفة على الموصوف في قوله (عازب همه) ليستطيع الوصــول إلــى معنــى الشمول والمبالغة، فلو قال (أراح الليل همه العازب) لفهم السامع أن لم يرح إلا الهم الموسوم بهذه الصفة، بينما أراد النابغة أن يقول (إن الليل أراح كل همومه حتى البعيد منها).

هذه صور بعض القوالب التعبيرية التي شاعت في الشعر الجاهلي عامــةً، أمــا مــا اختص به شعر المناذرة والغساسنة، فقد تميز شعرهم بصيغ خاصة، لم نعهدها فــي الشــعر الجاهلي ومن هذه الصيغ:

أبيت اللعن:

وهي صيغة اختص بها ملوك المناذرة وقد وصفهم الشاعر بها مبالغة منهم في المدح، فالممدوح عندهم مترفع عن فعل ما يلعن عليه ومن الذين أكثروا من استخدام هــذه الصــيغة النابغة الذبياني وقد يعود السبب لكثرة ما قدم من اعتذاريات للنعمان بسبب الجفاء الذي حصل بينهما، فنراه يقول [2]:

أَتَــانِي- أبيت اللعــن- أنّكَ لُمْتَني وَتِــلْكَ التي أَهتــم منهــا وأنْضَــبُ

وكذلك الأعشى يستخدم هذه الصيغة في مدحه للنعمان بن المنذر [3]:

إليكَ – أَبَيْتَ اللّعنَ- كــانَ كِلاَلُهــا إلى الماجد الفــرع الجــواد المُعَمَّــدِ

وقد استطاع بعض الشعراء تغيير المعنى الذي استخدمت من أجله هذه الصيغة، فبعد أن كانت تستخدم للمبالغة في المدح، استخدموها للمبالغة في الذم، يقول طرفة بن العبد [4]:

يقال: أَبيْتَ اللَّعْنَ- واللَّعْنُ حظُّــهُ وسوف -"أَبيْتَ الخيْرَ"- تُعْرَفُ بالخَفْضِ

---

[1] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٥٤.

[2] المصدر نفسه، ص ٧٩.

[3] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

[4] طرفة بن العبد، **الديوان**، مصدر سابق، ص

ومن الصيغ التي اختص بها شعر المناذرة والغساسنة الدعاء بالخلود. ومـــن أمثلتهـــا قول النابغة [1]:

أَلَمْ تَر خَيْرَ النَّـــاسِ قُـــرِّب نَعْشُـــهُ على فِتْيَةٍ قد جَـــاوَزَ الحَـــيَّ سَائِـــراً

وَنَحْـــنُ لَدَيْـــهِ نَسْـــأَلُ اللهَ خُلْـــدَهُ يَـــرُدُّ لَنَـــا مُلكـــاً ولـــلأَرْضِ عَامِـــراً

[1] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٣١.

رابعاً: المحسنات البديعية:

الشعر الذي قيل في المناذرة والغساسنة، نتاج العصر الجاهلي، لما حواه من موضوعات وفنون وأساليب مختلفة، فعند حديثنا عن المحسنات البديعية لدى شعراء المناذرة والغساسنة نتحدث عن الشعر الجاهلي بعامة، حيث قل فيه استخدام المحسنات البديعية من جناس وطباق وتصريع ... وما إلى ذلك من المحسنات البديعية، وقد يعود السبب في ذلك لكونها ترد دون قصد أو تكلف، فهي لم تقصد لذاتها وإنما وردت ضمن السياق العام.

فنجد في شعر المناذرة والغساسنة أمثلة من فنون البديع، وإن كانت قليلة – ومن هذه الأمثلة على الطباق قول الأعشى [1]:

خَاشِعَاتٍ يُظْهِرْنَ أكْسِيَةَ الخَـ ـزّ وَيُبطِنَّ دُوْنَها بشفوفِ

فطابق بين (يظهرن) و(يبطن).

وقوله:

فَاْعرِفِي لِلمَشيبِ، إذ شَمِلَ الرأ سَ، فإنَّ الشَبَابَ غَيْرُ حَلِيفِ

فطابق بين (المشيب) و (الشباب).

ومن الطباق أيضاً قول النابغة [2]:

وأنتَ الذي آثارُهُ في عدوِّهِ من البؤسِ والنُعْمى لهن ندوب

فطابق بين (البؤس) و (النعمى).

وقوله [3]:

تَسَعُ البلادُ إذا أتَيْتُكَ زائراً وإذا هجَرْتُكَ ضاق عني مقعدي

فطابق بين (أتيتك) و (هجرتك) وطابق أيضاً بين (تسع) و (ضاق).

---

[1] الأعشى، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٣٦٣.

[2] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٤١.

[3] المصدر نفسه، ص ٣٤.

وقوله:

ولاَ يَحْسِبُونَ الخَيْرَ لا شَــرَّ بَعْـدَهُ ولا يَحْسِبُــونَ الشَّــرَّ ضربــة لازبِ

فطابق بين (الخير) و (الشر).

ومن أمثلته قول حسان بن ثابت [١]:

وَالخَالِطــونَ فَقِيرَهــمْ بِغنّيهِـــمْ، والمُنعِمونَ عَــلى الضّعيفِ المُرمِــلِ

فطابق بين (فقيرهم) و (غنيهم).

ومن أمثلة الطباق قول المثقب العبدي [٢]:

ولَــقَــدْ أوْدَى بِمَــنْ أوْدَى بـــه عَيْــشُ دَهْــرٍ كــان حُلــواً فــأمــرّ

فطابق بين (حلو) و (مر).

وبعكس الطباق، يقل الجناس، ومن أمثلته في شعر المناذرة والغساسنة قول حسان بن ثابت [٣]:

إنّ التــي نَــاوَلَتني فــرَدَدْتُهــا قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فهاتهــا لــم تُقتَــلِ [٤]

فجانس بين (قتلت) و (قتلت) وهو جناس تام قليل وروده في أشعارهم.

ومن أمثلة الجناس قول حسان بن ثابت [٥]:

دارٌ لِقَــــوْمٍ قــدْ أرَاهُــمْ مَــــرّةً فَــوْقَ الأعزّةِ عِــزُّهــمْ لَــمْ يُنْقَــلِ

فجانس بين (الأعزة) و (عزهم).

---

[١] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٤.

[٢] المثقب العبدي، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٨١.

[٣] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٥.

[٤] **قتلت**: المراد بها الخمرة وتعني فرجت. **قتلت**: (أنت) دعاء بالقتل.

[٥] حسان بن ثابت، **الديوان**، مصدر سابق، ص ١٦٣.

ومن ألوان البديع التي ظهرت في شعر المناذرة والغساسنة، رد الصدر على العجز وهو أن يرد آخر كلمة في البيت إلى أول كلمة. ومن امثلته قول النابغة الذبياني [1]:

لا وارِدٌ منهـا يَجـوزُ إِذا استقـى صـدراً، ولا صـدرٌ يجـوز لِمَـوْرِدِ

فرد آخر كلمة في البيت إلى أول كلمة منه (وارد) ولا (مورد).

[1] النابغة الذبياني، **الديوان**، مصدر سابق، ص ٤١.

الأوزان والقوافي:

اتخذ شعر المناذرة والغساسنة – كغيره من الشعر الجاهلي – نظماً في بنائه، فالقصيدة العامودية– والتي اختص بها الشعر الجاهلي– تبنى على نمط موسيقي واحد، يسمى البحر. ويرى الدكتور شوقي ضيف " أن الشعر الجاهلي جميعه غنائي" [١]، بمعنى أنه نظم ليتغنى به. وقد ساهم في ذلك – حسب ما أرى– التزام الشعراء بعروض الشعر.

والمتتبع لشعر المناذرة والغساسنة، يجد أن الأزوان التي طغت عليه هي الأوزان الطويلة، وربما يعود ذلك للغرض الذي نظمت من أجله القصيدة، وعدم دخول الشاعر في الموضوع الأساسي مباشرة، بل عمد إلى الاستهلال بمقدمة طللية أو غزلية أو غيرها، ثم محاولة التخلص من وصف الرحلة والراحلة، وانتهاءً بموضوع القصيدة.

وبما أن غرض القصيدة هو الذي يفرض البحر كما جاء في كتاب منهاج البلغاء للقرطاجي "ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان ما يقصد به الجد والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة، وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس، فإذا قصد الشاعر الفخر حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضوع قصداً هزلياً أو استخفافياً، وقصد تحقير شيء أو العبث به حاكى ذلك بما يناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء وكذلك في كل مقصد " [٢].

غير أن الدارسين المحدثين انقسمت آراؤهم حول الوزن الموضوع إلى قسمين: الأول يربط بين الموضوع والوزن، والثاني يرفض ايجاد علاقة بينهما ويدلل على ذلك بالمعلقات، فهي ذات موضوع واحد ولكنها تختلف في أوزانها [٣].

والذي أميل إليه هو الرأي الثاني؛ إذ لا علاقة بين القصيدة وموضوعها والبحر الذي تنظم عليه، فالشاعر عندما يمدح أو يهجو أو يرثي لا يستحضر البحر الذي يجب أن تنظم

---

[١] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي**، دار المعارف، مصر، ص ٩٠.

[٢] القرطاجي، جازم بن محمد (ت ٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، تونس، ١٩٦٦، ص ٢٦٦.

[٣] للاستزادة: انظر شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٧٢. يوسف بكار، **بناء القصيدة العربية**، مرجع سابق، ص ٢١٠ وما بعدها. محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٦٨.

عليه القصيدة وإنما يترك لمشاعره وعواطفه العنان في النظم دون تحديد مسبق للبحر لذا نجد أن بعض البحور نظمت لأغراض مختلفة.

لقد نظم شعراء المناذرة والغساسنة شعرهم على معظم البحور، ولم يقتصر شـــعرهم على عدد محدود من البحور والأوزان، وعليه تعددت البحور التي نظموا عليها أشعارهم.

والجدولان التاليان يبينان الغرض الذي قيلت فيه القصيدة والبحر الذي نظمت عليه.

جدول يبين مجموع الأغراض في شعر المناذرة والبحور على كل غرض

عدد القصائد في كل بحر / الغرض	الطويل	البسيط	الوافر	الكامل	الرمل	الرجز	الخفيف	المتقارب	المجموع
مدح	٩	٣	١	٣	١	–	٣	–	٢٠
رثاء	٢	–	–	–	–	–	–	–	٢
تحذير	١	–	–	–	–	–	–	–	١
وصف	١	–	–	١	–	–	–	–	٢
اعتذار	٢	١	١	–	–	–	–	–	٤
هجاء	٣	–	١	٣	–	–	–	١	٨
نصح	–	١	–	–	–	–	–	–	١
تحريض	–	١	–	٢	–	–	–	–	٣
افتخار	–	١	٣	–	–	١	–	١	٦
المجموع	١٨	٧	٩	٩	١	١	٣	٢	٥٠

جدول يبين مجموع الأغراض في شعر الغساسنة والبحور على كل غرض

عدد القصائد في كل بحر / الغرض	الطويل	المتقارب	البسيط	السريع	الرجز	الكامل	مجزء الكامل	الخفيف	المجموع الكامل
مديح	١١	٢	٣	٣	٢	٣	١	٢	٢٧
رثاء	٢	–	٣	–	–	–	–	–	٥
تحذير	١	–	–	–	–	–	–	–	١
سعي من أجل القبيلة	١	–	–	–	–	–	–	–	١
افتخار	–	–	١	–	–	–	–	–	١
فك الأسرى	١	١	–	١	–	–	–	–	٣
هجاء	١	–	–	١	–	١	–	–	٣
وصف	–	–	–	–	–	١	–	–	١
وصية	–	–	٣	–	–	٢	–	–	٥
المجموع	١٧	٣	١٠	٥	٢	٧	١	٢	٤٧

ومن النظرة الأولى للجدولين يتبين لنا أن أغلب القصائد جاءت على الأوزان الطويلة، وقد يكون ذلك تبعاً للأغراض الشعرية التي قيلت فيها القصائد، إذ نلاحظ أن الأغراض الأكثر شيوعاً في شعر المناذرة والغساسنة هي المدح بالدرجة الأولى ثم الهجاء، والاعتذار والرثاء، وفيما عدا ذلك من أغراض فإنها جاءت على شكل مقطوعات شعرية.

كما نلاحظ أن شعراء البلاطين لم ينظموا على البحور المهجورة مثل (المضارع، والمتدارك)، وكان أكثر نظمهم على البحر الطويل والبسيط والكامل والخفيف.

القافية:

تمثل القافية ركناً أساسياً ومهماً في الشعر العربي القديم لا يمكن أن يقوم بيت شعر دونه، وتأتي أهمية القافية من كونها ضابط إيقاع القصيدة أو ما يسميه العارفون في شؤون الموسيقى (باللازمة) التي تتكرر بين أجزاء القطعة الموسيقية لربطها وضبط إيقاعها وحركاتها.

وقد اهتم العلماء والنقاد بالقافية اهتمامهم بعلم العروض، فلم يخل كتاب من كتبهم التي ألفوها في العروض من الحديث عن القافية، بل إن بعضهم وضع لها كتاباً منفصلاً [١].

وعن تعريف القافية، فقد اختلفت آراء القدماء، فمنهم من رأى أنها من أخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، وبهذا فقد تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة ومرة كلمتين [٢]، وهذا هو رأي الخليل. أما الأخفش فإنه ذهب إلى أن القافية أخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها القافية لأنها تقفو الكلام، وهي ليست حرفاً عنده بدليل قولهم: قافية بالتأنيث، فهي مؤنثة والحرف مذكر [٣]. أما الرأي الأكثر شيوعاً وقبولاً وشهرة بين المهتمين والدارسين فهو رأي ابن عبد ربه حيث يقول: " القافية حرف الروي الذي يبنى عليه الشعر، ولا بد من تكريره فيكون في كل بيت " [٤]، وتأكيداً لصحة هذا الرأي قلنا: همزية البوصيري، ولامية الشنفرى وسينية شوقي، وغير ذلك من دالقصائد المنسوبة إلى قوافيها.

وتنبع أهمية القافية – كما أسلفنا– من كونها عنصراً من عناصر التشكيل الموسيقي، وتشكل نغماً موسيقياً مهماً في القصيدة، ويرى إبراهيم أنيس ان تكرارها يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا

---

[١] وضع الأخفش الأوسط، **كتاب القوافي**، وقد حققه هزة حمزة ونشر في دمشق عام ١٩٧٠. كما وضع الخطيب التبريزي، **الكافي في العروض والقوافي**، وحققه الحساني حسن عبد الله، ونشر في القاهرة عام ١٩٦٩.

[٢] انظر: ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، مصدر سابق ج١، ص ٢٤٣.

[٣] الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، **كتاب القوافي**، الطبعة الأولى، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠، ص ص ١-٢.

[٤] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩، ج٦، ص ٢٩٣.

التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة [١]. ويضع ناقد آخر يده على مكمن آخر من مكامن أهمية القافية ومكانتها في الشعر، وذلك هو المتأتي من كونها " قمة الارتفاع الصوتي في البيت الشعري؛ فهي لا تمثل خاتمة البيت كما يبدو ذلك في الظاهر، وإنما تمثل همزة الوصل بين البيتين " [٢].

كما اعتنى شعراء المناذرة والغساسنة باختيار بحورهم، فقد أولوا القافية عناية كبيرة، والجولان التاليان يوضحان استخدامهم للقوافي بحسب الأغراض الشعرية.

---

[١] إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر العربي**، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٩١.

[٢] محمد الهادي الطرابلسي، **خصائص الأسلوب في الشوقيات**، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١، ص ٤٦.

جدول يبين مجموع الأغراض في شعر المناذرة والقوافي على كل غرض

عدد القصـــائد في القافية / الغرض	ب	د	ر	س	ط	ع	ف	ق	ل	م	ن	هـــ	ي	المجموع
مديح	٢	٣	٤	–	٢	–	١	٣	٣	٢	–	١	١	٢٢
رثاء	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	١	٢
تحذير	–	١	١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٢
وصف	–	١	١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	٢
اعتذار	١	١	–	–	–	١	–	–	–	١	–	–	–	٤
هجاء	٢	–	١	–	–	–	–	–	٣	١	–	–	–	٧
نصح	–	–	١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	١
تحريض	–	١	–	١	–	–	–	–	–	١	–	–	–	٣
افتخار	–	١	–	–	–	–	–	–	١	٣	١	–	١	٧
المجموع	٥	٨	٨	١	٢	١	١	٣	٧	٨	١	١	٣	٥٠

جدول يبين مجموع الأغراض في شعر الغساسنة والقوافي على كل غرض

عدد القصائد في القافية / الغرض	ب	د	ر	ص	ع	ف	ق	ل	م	ن	هـ	المجموع
المدح	٤	٣	٧	١	١	–	–	٣	٤	٢	٢	٢٧
الرثاء	١		١	–	–	–	–	٢	١	–	–	٥
الافتخار	–	–	–	–	–	١	–	–	–	–	–	١
التوسط من أجل القبيلة	١	٢	٢	–	–	–	–	–	١	–	–	٦
وفك الأسرى	١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	١
النصح والارشاد	–	–	١	–	–	–	١	–	٢	١	–	٥
الهجاء	١	–	١	–	–	–	–	١	–	–	–	٣
المجموع	٨	٥	١٢	١	١	١	١	٦	٨	٣	٢	٤٧

يتبين لنا من الجدولين السابقين أن شعراء المناذرة والغساسنة نوعوا في قوافيهم، غير أنهم أكثروا في شعرهم من استخدام بعض القوافي مثل (الباء، والدال، والراء، واللام، والميم، والنون). وابتعدوا عن بعض القوافي مثل (السين، والشين) وسبب ذلك أرى أن الشاعر الواحد منهم– نظم العديد من القصائد التي تختص بالمناذرة والغساسنة موضوع بحثنا، وما قصائدهم التي عنينا بدراستها إلا شرائح من شعرهم الوفير والذي تعددت فيه القوافي تبعاً لتعدد الموضوعات.

الخاتمة

لقد تبين من خلال دراسة صورة المناذرة والغساسنة في الشعر الجاهلي جملة من الأمور نوردها فيما يلي:

- أهمية الشعر تاريخياً، فقد كان سجلاً حافلاً بالأحداث التي دارت في المنطقة حيث جاءت هذه الأشعار بمثابة الحافظ والمخلد لذكر دولتي المناذرة والغساسنة التي وجدت في التاريخ لأكثر من خمسة قرون.
- لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن دولتي المناذرة والغساسنة تمتعتا بقسط كبير من الاستقرار الذي أدى إلى ازدهار الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية كما جاء على لسان بعض الشعراء في وصف حضارتهم وملوكهم وحروبهم.
- كما كشفت الدراسة عن صورة المناذرة والغساسنة في علاقتهما مع بعضهما، ومع القبائل العربية المحيطة، فتبين أن هذه العلاقة هي علاقة عداء مستمر بين الدولتين في محاولة لإرضاء القوى الخارجية، أما علاقتهما مع القبائل العربية فقد حملت معنى الانقياد والانصياع والتبعية.
- وبدت صورة المناذرة والغساسنة من خلال الشعر الذي قيل فيهم، فقدم صورتهم على أنهم ظالمون ومستبدون وقساة، وأنهم أداة بيد القوى الخارجية، وأن مفهوم السيادة بمعناه المطلق لم يكن متوافراً لديهم.
- ومن الناحية الفنية للقصيدة تبين ان شعراء تلك الفترة التزموا نهج القصيدة الجاهلية المألوف في مقدمات قصائدهم من حيث الابتداء بالوقوف على الأطلال ثم الانتقال إلى

التغزل بالمرأة ووصف الرحلة والراحلة؛ أما في التخلص والخاتمة فإنهم ساروا على نهج نظرائهم ولم يتنكبوا سبيلهم.

- امتازت لغة شعراء تلك الفترة بالسهولة والوضوح والفصاحة، ولم يستخدموا مفردات غريبة في شعرهم، إلا في بعض قصائد الهجاء، أو في بعض المواطن التي تسيغ مثل هذا الاستخدام كوصف الرحلة والراحلة، كما امتازت أساليبهم بالتنوع فقد استخدموا قوالب جديدة لم تكن معروفة مثل الدعاء بالخلود والمفاداة بالأهل.
- نظم شعراء بلاطي المناذرة والغساسنة قصائدهم على البحور الشعرية الأكثر شيوعاً واستخداماً في الشعر العربي عموماً كالطويل والبسيط والكامل والوافر وابتعدوا عن البحور المهجورة كالمتدارك والمضارع.
- نوع شعراء بلاطي المناذرة والغساسنة في قوافيهم؛ فاستخدموا كثيراً من حروف المعجم واهتموا بالنظم على القوافي السهلة (الراء، الدال، الباء) وابتعدوا عن النادرة مثل (السين والشين) كما تبين أن أكثر قوافيهم من القوافي المطلقة، ولم يستخدموا المقيدة إلا فيما ندر.

قائمة المصادر والمراجع

أ_ المصادر:

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد(ت٦٣٠هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: خليل شيحا، ط١، دار المعرفة بيروت، ٢٠٠٢م.
- الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، **كتاب القوافي**، ط١، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٩٧٠م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين(ت٣٥٦هـ)، **كتاب الأغاني**، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن(ت٣٨٠هـ)، **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.
- إميل بديع يعقوب، **ديوان عمرو بن كلثوم**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١م.
- ابن الأنباري، القاسم بن محمد(ت٣٠٤هـ)، **شرح ديوان المفضليات**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الأندلسي، علي بن موسى بن سعيد(ت٦٨٥هـ)، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، ط١، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر،(ت١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع الكبرى**، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٢م.
- البلادري، أحمد بن يحيى(٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، عني بمراجعته: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
- التوحيدي، أبو حيان(ت٤١٤هـ)، **البصائر والذخائر**، تحقيق: وداد القاضي، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت.
- الجاحظ، عمرو بن بحر(ت٢٥٥هـ):

- **البيان والتبين**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت،د.ت.
- **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

- الجراح، محمد بن داود (ت٢٩٦هـ)، **من اسمه عمرو من الشعراء**، تحقيق: عبد العزيز المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١هـ). **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد بن عبد العزيز النجار، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الجمحي، محمد بن سلام(ت٢٣١هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.
- أبن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، (ت٢٤٥هـ)، **المحبر**، تحقيق: إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي(ت٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية،١٩٩٨م.
- حسن كامل الصيرفي:
  - **ديوان المتلمس الضبعي**، رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، المنظمة العربية التربية والثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
  - **ديوان المثقب العبدي**، معهد المخطوطات العربية.
- الحلي، هبة الله محمد بن حمدون (ت٥٦٠هـ)، **المناقب المزيدية**، تحقيق: محمد خريسات وزميله، ط١، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م.
- الحموي، ابن حجة أبو بكر علي بن عبد الله(ت٨٣٧هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، دار القاموس الحديث، بيروت، د.ط.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- حنا نصر الحتي، **حاتم الطائي**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،(ت٨٠٨هـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٩٧١م.
- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط١٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.

- درية الخطيب ولطفي السقال:
  - **ديوان طرفة بن العبد**، شرح الأعلم الشنتمري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م.
  - **ديوان علقمة بن عبدة الفحل**، شرح الأعلم الشنتمري، ط١، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٦٩م.
  - **ديوان الحماسة**، تحقيق: عبد المنعم أحمد صالح، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد، د.ت.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق:عبد الواحد شعلان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الزبيدي، محمد مرتضى(ت٨١٦هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- شكري فيصل، **ديوان النابغة الذبياني**، صنعة ابن السكيت، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
- الشمشاطي، علي بن محمد(ت٣٧٧هـ)،**الأنوار ومحاسن الأشعار**،تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٧٨م.
- الضبي، المفضل بن محمد(ت١٧٨هـ)، **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، بيروت، ١٩٦٤م.
- الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، تحقيق: محمد عبد القارد شاهين، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
- أبوعبيدة، معمر بن المثنى، (ت٢٠٩هـ)، **شرح نقائض جرير والفرزدق**، تحقيق: محمد إبراهيم حور وزميله، ط٢، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٩٩٨م.
- ابن عساكر، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النحاس وزميليها، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- عمر الطباع، **ديوان حسان بن ثابت**، دار القلم، بيروت، د.ت.

- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي(ت٦٣٠هـ)، **المختصر في أخبار البشر**، تحقيق: محمد ديوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم(ت٣٥٦هـ)، **الأمالي**، دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٦هـ):
  - **الشعر والشعراء**،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣م.
  - **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩م.
- القرطاجني، حازم بن محمد(ت٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، تونس، ١٩٦٦م.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن الكثير(ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: صدقي العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.
- المبرد، محمد بن يزيد(ت٢٨٦هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.
- محمد جاد المولى وزميلاه، **أيام العرب في الجاهلية**، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.
- محمد محمد حسين، **الأعشى**،ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- المرتضى، علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)، **أمالي المرتضى**، تحقيق: أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- المرزباني، محمد بن عمران(ت٣٨٤هـ)، **معجم الشعراء**، تحقيق: ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- المرزوقي، أبو علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.:
  - **الأزمنة والأمكنة**، تحقيق: محمد نايق الدليمي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢م.

- **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت،١٩٩١م.

- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**،تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط٢، دار الفكر بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- الميداني، أحمد بن محمد(ت٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
- لويس شيخو، **شعراء النصرانية قبل الإسلام**، ط٤، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤م.
- نوري القيسي، **ديوان الأسود بن يعفر النهشلي**، وزارة الثقافة والإعلام، د.ت.
- نوري القيسي، **شعراء اسلاميون**، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن هشام، عبد الملك(ت٢١٨هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وزميله، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحق(ت٢٩٢هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

ب_المراجع

- إبراهيم أنيس، **موسيقى الشعر العربي**، ط٦، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- إبراهيم عبد الرحمن، **الشعر الجاهلي: قضاياه الفنية والموضوعية**، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
- إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، دار الشروق،عمان، ١٩٨٦م.
- أحمد الشايب، **الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٥م.
- بشرى صالح، **الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- تامر سلوم، **في التشكيل الموسيقي للشعر العربي**، منشورات جامعة تشرين، سوريا، ١٩٩٧م.
- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٢، جامعة بغداد، ن١٩٩٢م.
- خليل إبراهيم عطية، **التركيب اللغوي لشعر السياب**، دار الحرية، بغداد، ١٩٦٨م.
- سعد سليمان حمودة، **لغة التصوير الفني في شعر النابغة الذبياني**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،د.ت.
- شوقي ضيف،:
  - **العصر الجاهلي**، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
  - **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط١٠، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- عبد الإله الصائغ، **الصورة الفنية معياراً نقدياً**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- عبد العزيز سالم، **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.
- عبد القادر الرباعي، **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ط١، دار لعلوم ، اربد، ١٩٨٤م.
- عفيف عبد الرحمن، **ديوان شعر الأيام**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

- عمر فروخ، **تاريخ الجاهلية العرب في حضارتهم وثقافتهم**، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
- فتح الله سليمان، **الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، ط١، الدار الفنية للنشر والتوزيع، د.ت.
- فوزي أمين، **قراءة جديدة في شعر النابغة الذبياني**، ط، دار المعرفة الجامعية، الأسكدررية ، ١٩٨٩م.
- فيليب حتي:
  - **تاريخ العرب**، بقلم فيليب حتي، إدورد جورجي، جبرائيل جبور، ط٨، دار غندور، ١٩٩٠م.
  - **تاريخ سوريا وفلسطين**، ترجمة: كامل اليازجي، دار الثقافة، بيروت،د.ت.
- محمد دقة، **السفارة السياسية وآدابها في العصر الجاهلي**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٤م.
- محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، دار العودة، بيروت،١٩٨٧م.
- محمد شكري الألوسي، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- نعيم اليافي، **مقدمة لدراسة الصورة الفنية**، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،١٩٨٢م.
- يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه**، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.
- يوسف بكار، **بناء القصيدة العربية**، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م.

الرسائل الجامعية:

- فؤاد شتيات، **الشعر في بلاط النعمان بن المنذر**، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة اليرموك.
- قطنة أحمد الهزاع، **الشعر في بلاط الغساسنة**،رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة اليرموك.